جامعة المنصورة

كلية الآداب

علم المعانى

بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجى

فى كتاب الخصائص لابن جنى

إعداد

الدكتور / محمد سعيد محفوظ عبد الله

دكتوراه فى البلاغة العربية

مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة

العدد الحادى و الخمسون – أغسطس ٢٠١٢

علم المعانى بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجى فى كتاب الخصائص لابن جنى

د/محمد سعيد محفوظ عبد الله

توطئة لابد منها

الحق الذي لامراء فيه أن البلاغيين والنقاد قد تجنوا على ابن جنى وافتئتوا عليه افتئاتا لا نظير له واهتضموا حقه ، وهم في ذلك سواء ، قديمهم وحديثهم ومستشرقوهم خلا القليل منهم ، ومآل ذلك لدى يترای في كونه روميا يونانيا غير عربي ، كذا كان أبوه مولى ومملوكا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدى ، أضف إلى ذلك عدم وجود تلاميذ أمناء يحرصون على نقل علمه ، بالإضافة إلى نشأته في القرن الرابع الهجري قرن الزخم البلاغي والنقدي يضاف إلى ما سبق أن هؤلاء البلاغيين والنقاد قد أغاروا على كتبه وسلبوا آراءه فلو أشاروا إليه ولو وحيا أورمزا لافتضح أمرهم وانكشف سترهم وعريت مؤلفاتهم وفرغت من محتواها تفريغا ، لذا كان هذا الجحود والنكران ، ساعدهم على ذلك أيضا حمل ابن الأثير عليه حملة شعواء نكراء وهو من هو ، الذي يعب من علمه نهلا ، كما سنبين في قادم الصفحات .

لذا كان من المقرر أن يأتي هذا البحث للإنصاف ورفع الإجحاف ويؤكد أن ابن جنى قيمة وقامة في علوم البلاغة وأنه كنظائره البلاغيين بل يبذهم بذا ، ووضاعة النسب لا تجعلهم يغضون الطرف عنه – مع العوامل السالفة الذكر – الذي يقول فيه شعرا :–

فإنْ أصبح بلا نسبِ فعلمي في الورى نسبي

وأغلب الظن أن ابن جنى كان يستشعر ذلك في بواطن دواخله ، لذا أنشد هذا البيت، ومن بين العوامل المجتمعة على الاستنقاص من شأوه مصاحبته لأبى على الفارسي ،

هذا العلم الذي جعل الناس ينسبون إليه بعضا من آراء ابن جنى ، والناس هم الناس في كل مصر وعصر حيث كانوا ، ينالون منه بسبب عوره فهذا صاحب مسالك الأبصار يقول فيه :-

العُرّ والعارُ فيك تمًّا والعور التام والعوار

لهذه الأسباب جاءت دراستنا لرفع هذا الضيم وإزالة تلك الحجب عن مجهوداته وآرائه البلاغية التي اجتهد فيها أيما اجتهاد ، والتي توارت أو كادت تلك الآراء التي يتجاذبها عاملان : التفكير الديالكتيكى و التحليل السيكولوجي .

بواعث الدراسة : -

ثمة عدة دوافع للدراسة دفعتني واستنهضت هممي ألا وهي :

١- إظهار ابن جنى كواحد من البلاغيين الأول من خلال كتابه الخصائص .

٢- جهود ابن جنى البلاغية لم تكن سردا كلاميا بل كانت ذات أطر فلسفية منطقية يتخلل أحناءها أطر نفسية سيكولوجية يعيها الذوق العربى الخالص.[١]

٣- أثر العصر على ابن جنى ، حيث إنه نشأ ومات في القرن الرابع الهجري وهذا العصر قد شهد حراكا بلاغيا وجلبة نقدية لا بأس بهما حتى يمكن القول بأن هذا القرن هو قرن البلاغة العربية .

٤- آراء ابن جنى بين الجمود والابتكار قياسا على سابقيه ولاحقيه .

---

[١] انظر : مقدمة الخصائص تحقيق **محمد علي النجار** حيث يقول عن ابن جنى "وهو يعد بحق فيلسوف العربيه وباقرها" ٢٨/١

٥- إماطة اللثام وهتك الستر عن تلك الجهود البلاغية ، حيث من المؤكد أن ابن جنى لم يكن بلاغيا تقليديا، بل كان ذا مدرسة فكرية نفسية لها طابعها الذي يعلو به على قرنائه .

٦- التركيز والتنويه على أن ابن جنى لم يكن متبعا لأستاذه أبي على الفارسي أسيرا لأفكار لم ينفك من عقالها بل تميز وتفرد بآراء لم يسبق إليها .

أهداف الدراسة : -

وتتراءي هذه الأهداف في :-

١- علوم البلاغة لم تكن بمنأى عن علوم النحو والصرف واللغة.

٢- التأكيد على حقيقة هامة، هي أن علوم اللغة العربية نسيج وحده اتصال لا انفصال، التحام لا انفصام.

٣- الربط بين المصطلح البلاغي قديما وحديثا.

٤- كمال صورة علم المعاني على يديه فاستوى وتمثل علما قائما مستقلا برأسه ووضحت أركانه من فصل ووصل ، تعريف وتنكير وتقديم وتأخير وذكر وحذف وإيجاز وإطناب ومساواة ، بالإضافة إلى أسلوب القصر والأساليب الإنشائية والخبرية ، بحيث لم يترك موضعا لقلم يذكر فيما بعد في هذا العلم.

٥- ما جاء من بعده عيال عليه ، فقد اتكأ غالبيتهم عليه .

٦- ربط المفهوم التنظيري بالناحية التطبيقية العملية .

٧- ميزان ابن جنى البلاغي ومدى اتساقه أو اختلافه مع المقاييس البلاغية لبلاغي القرن الرابع الهجري.

٨- إبراز مفاهيمه في صورة فكرية نفسيه يعتمل فيها العقل والنفس .

٩- بيان تأثيره بسابقيه وأثره في لاحقيه .

١٠- جديد مصطلحاته البلاغية بالنظر إلى مصطلحات عصره .

عقبات الدراسة: -

لقد واجه البحث والباحث عدة صعوبات تتلخص في :-

١- عدم تقعيد البلاغة العربية وقتئذ، وكذا عدم وضع المصطلحات البلاغية المناسبة ، فكان المضمون يمكن وضعه تحت أي مسمى من المسميات البلاغية التي قعدت على يد السكاكي في القرن السابع الهجري مما حدا بالباحث إلى كد الذهن وشحذ الفكر لكي يتسق المضمون مع المصطلح الملائم له.

٢- ابن جنى أعجمي وعادة الأعاجم الإطناب والتطويل لكي تتضح الفكرة وتنتظم ، مما أجهد الباحث للوصول إلى الفكرة والتخلص من الحشو المفرط حولها.

٣- افتقاد المنهج في التأليف ، وغالبا ما تختلط آراؤه بآراء أبي علي الفارسى.

٤- تناول ابن جنى الفكرة في أكثر من جزء وفي أكثر من موضع ، فكان على الباحث أن يتتبع الفكرة الصفحة تلو الصفحة حتى تكتمل لديه ، فمثلا تناول الأساليب الإنشائية والخبرية في ٢١٦/١، ٣٩/٣ ٢٧٢/٣ ، ٢٧٢/٢ ، وهكذا.

٥- عناوين أبواب وفصول كتابه لا توحي بالمضمون ، فمثلا (باب القول على الفصل بين الكلام والقول ٥/١) يندرج تحته حديثه عن التمام والكمال وأسلوب الشرط وأسلوب القسم والإشارة والوحي والحشو والنفي والإطناب والإيجاز ، وباب (في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني ٢١٦/١) تكلم عن الاحتراس والاستدراج والحشو وأسلوب الأمر وباب (في تقاود السماع وتقارع الانتزاع ١٠١/١) تكلم فيه عن الفصل وصحة الاستدلال والضمائر وأدوات التعريف وحسن التفسير.....وهكذا .

الدراسات السابقة : -

لقد تعاور ابن جنى عدة دراسات سابقة ولكن من المقرر أنها قد أصابها بعض العوار والانتقاص أضف إلى ذلك أنها تناولت مؤلفاته جميعا ، ولم تركز على كتابه الخصائص ، أي إن الحديث عن بلاغيات الخصائص لم تكن محور اهتمامات هذه الدراسات ، بل ربما استحوذ كتاب المحتسب المدار المعلى ، وقطب الرحى والنصيب الأوفر في ذلك.

وهذه الدراسات هي : -

١- رسالة ماجستير بعنوان " البلاغة عند ابن جنى " قدمها الباحث إبراهيم أحمد إبراهيم أبو أحمد – جامعة عين شمس سنة ١٩٩٥ م ، وتناول البلاغة عنده بصفة عامة ، كما هو واضح من العنوان وعرض لكتاب الخصائص عرضا كناتج أدبي من نتاج ابن جنى ونسى وتناسى الكثير من المصطلحات البلاغية التي يعج بها " الخصائص " مثل : الإتمام والإكمال والفصل والوصل والإبهام والتفسير والاستدراج والبلاغة الصوتية .

ومن الملاحظ في هذه الدراسة أيضا استغراق الحديث عن كتاب المحتسب بجزئيه نظرا لأن المصطلحات البلاغية فيه لا تحتاج إلى كد وجد ووصب ونصب احتياجها في كتاب الخصائص.

٢- دراسة نقدية بعنوان " ابن جنى ناقدا " للباحث / مصطفى محمد رزق وهي رسالة ماجستير – جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ١٩٨٢ م وتناول فيها موقفه من الشعر بالنقد والتحليل وليس فيها أي نصيب بلاغي .

٣- دراسة نقدية أخرى بعنوان " النقد الأدبي في تراث ابن جنى " للباحث محمد لطفي أحمد – جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية سنة ١٩٨٠ م ولا يعدو الحديث فيها عن قضية اللفظ والمعنى ومواضع الحسن والقبح في الأشعار التي تناولها.

٤- دراسة الدكتور / عبد الحكيم راضي " نظرية اللغة في النقد العربى " – جامعة القاهرة – كلية الآداب سنة ١٩٧٦ م وهي رسالة دكتوراه وقد استهلكت دراسته الحديث عن مؤلفات ابن جنى بصفة عامة دونما التركيز على الخصائص وتناول من كتاب الخصائص بعض الموضوعات منها : التقديم والتأخير والذكر والحذف ، قوة اللفظ لقوة المعنى ، الاصطلاحي والفردي وغيرها من الموضوعات.

٥- " أثر النحاة في البحث البلاغي حتى نهاية القرن الخامس الهجري " وهذه الدراسة رسالة دكتوراه للباحث/عبد القادر حسين محمد سنة ١٩٧٠ م – جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية بالقاهرة وتحدث فيها عن مؤلفات ابن جنى ومجهوداته البلاغية دونما التركيز أيضا على كتاب الخصائص وعلى الرغم من ذلك لم يذكر ظاهرة الفصل والوصل ، ولا الإبهام والتفسير ولا الإتمام والإكمال ولم يستوف الحديث عن الأساليب الإنشائية والخبرية وكذا الإيجاز والإطناب بل لم يشر إلى مصطلح المساواة ومصطلحات أخرى وهي صميم علم المعاني في الدراسات البلاغية وكذا كتابه " المختصر في تاريخ البلاغة " – دار الشروق – القاهرة – ط١- سنة ١٩٨٢ م ما هو إلا إيجاز لما أطنبه في رسالته السابقة .

وبعد ... ،،،

فإن هذه الدراسات جميعها – وهي بين ماجستير ودكتوراه – يشوبها نقيصتان:-

الأولى : أنها لم تركز على كتاب الخصائص وإنما مرت عليه مرورا عابرا ، هذا مع العلم بأن هذا الكتاب بل إن الجزء الواحد من أجزائه الثلاثة ليستحق الوقوف عليه برسائل ودراسات عديدة وعديدة وعود على بدء بالقول بأن هذه الدراسات اقتضبت الحديث اقتضابا وغضت الطرف عن مصطلحات طالما زخرت بها هذه الأجزاء الثلاثة .

والنقيصة والمثلبة الثانية أنها لم تجهد نفسها في علم المعاني جهدها في علم البيان لذا كان علم المعاني به الكثير من العوار ولم يأت مكتملا واضح المعالم ، ولم تف بالغرض المطلوب ولم تقف ولم تستوفق دراسة هذا الكتاب بالتحليل والتعليل لذا جاءت دراستنا التي تناولته بقده وقضيضه وفصه ونصه.

منهج الدراسة : -

هو بلا نزاع المنهج المتكامل وذلك لأننا في مسيس الحاجة إلى :-

١- المنهج التحليلي الوصفى :-

هذا المنهج سبيله تحليل وشرح مضمون ما قاله وبالتالي توصيفه ودرجه تحت مصطلحه البلاغي المساوق له أو على أقل تقدير الذي يقترب منه ويلامسه ، حيث لم تكن المصطلحات البلاغية قد قعدت من ذي قبل ، هذا مع العلم بأن شرحه هذا قد يندرج تحت أكثر من مسمى بلاغي حيث تتداخل فيما بينها تداخلا شديدا دونما تمايز ، فكان هذا من الباحث جهدا إلى جهد ولأيا إلى لأى ، مستندا في ذلك كله للفكر والمنطق والفلسفة .

٢- المنهج الإحصائي :-

حيث تقوم الدراسة بعمل إحصائي لآرائه تلك على شكل مصطلحات بلاغية بل وبيان الجديد فيها قياسا إلى مصطلحات عصره.

٣- المنهج المقارن:-

حيث تتناول الدراسة مقاييسه البلاغية في ضوء المقاييس البلاغية لبلاغي القرن الرابع الهجري.

٤- المنهج الجمالي :-

تكشف الدراسة عن مقاييس الذوق الجمالي عنده من خلال تناوله لعلم المعاني .

٥- المنهج النفسي :-

حيث كان يرد كل رأى بلاغي – ولا سيما في علم المعاني – إلى طبيعة النفس البشرية وأن المقياس في ذلك كله هو قبول النفس له أو مجها له ، وجهوده تلك بين

الاتباع والإبداع مما يكشف عن نفس طلعة طموحة وثابة ، ليست بنفس متبعة مقلدة وقفت عند عقارب عصره ، وهذا واضح من خلال وصفه لنفسه تلك "فأما هجنة الطبع وكدورة الفكر ، وخمود النفس ، وخيس الخاطر ، وضيق المضطرب فنحمد الله على أن حماناه ، ونسأله سبحانه أن يبارك لنا فيما أتاناه ويستعملنا به فيما يدني منه ويوجب الزلفة لديه بمنه ".[1]

٦- المنهج التاريخي:-

حيث تقوم الدراسة برد الظاهرة البلاغية – في علم المعاني – إلى مسماها ومعناها ومصطلحها الصحيح وذلك عبر تطور تلك المصطلحات عبر العصور التاريخية اللاحقة على عصر ابن جنى ، ليس هذا فحسب وإنما اختيار الأدق والأكثر التصاقا بالظاهرة ، حيث كان التداخل موجودا حتى قرن السكاكي – القرن السابع الهجري – ولربما تطاولت وامتدت به لأبعد من هذا .

خطة الدراسة : -

تنهض هذه الخطة على عدة مباحث–هي مباحث علم المعاني – نوجزها فيما يلي:-

المبحث الأول : - الإنشاء والخبر بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي ودور البلاغة الصوتية في ذللك .

المبحث الثاني : -الفصل والوصل بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي.

المبحث الثالث : -التقديم والتأخير بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي.

المبحث الرابع :- الذكر والحذف بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي.

---

[1] الخصائص ٢/٤٥.

المبحث الخامس : -التعريف والتنكير بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي.

المبحث السادس : -أسلوب القصر بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي.

المبحث السابع : -الإيجاز والإطناب والمساواة بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي.

المبحث الثامن : -موضوعات أخرى تتعلق بعلم المعاني تأتي في إطار التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي و**تتمثل فى** :-

أ- القلب .

ب- الاشتقاق الصوتي.

جـ- رفع المسند والمسند إليه.

د- التذكير والتأنيث.

هـ- الاستدراج.

و- معاني الحروف .

ي- بلاغة الجملة الاسمية والفعلية .

ن- الخروج على خلاف مقتضى الظاهر .

وأخيرا النتائج التي **تمخضت** عنها هذه الدراسة والتي بلا شك سوف تكشف عن حقائق جديدة كل الجدة وطريفة كل الطرافة ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي عضدت تلك الدراسة وائتلفت وتضامت فى نسج خيوطها. ولقد اجتهدت قدر طاقتي في الوصول بهذا البحث إلى ما يقرب من الكمال، إن الكمال إلا لله وحده ، فما كان من توفيق فمن الله ورسوله وما كان من نقص فمن نفسي ومن الشيطان والله نسأل السداد إلى ما فيه خدمة قرآننا العظيم.

مدخل إلى الدراسة : -

مجموع ما ألفه ابن جنى تسعة وأربعون كتابا [١] وهو تقريبا نفس العدد عند ابن قتيبة والجاحظ والذي يعنينا في هذا البحث ومدار الأمر كله هو كتاب الخصائص ذات الأجزاء الثلاثة والذي بناه على معرفة أصول اللغة عند العرب وكشف خصائصها وأسرارها حيث قال في مقدمته " وهو من أشرف ما صنف في علم العرب ، وأجمعه الأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة " [٢].

الغرض من تأليف الخصائص : -

ثم نمضي معه في استيضاح تأليف الخصائص فنرى أنه ألف للنحو ، وللنحو فقط "وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين " الكوفة والبصرة"، تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه" [٣]

ويبدو جليا للعيان من خلال التسمية " الخصائص " أو " خصائص العربية " أنه يتناول خصائص اللغة العربية من عدة مناح : الاشتقاق ، الأصول ، القلب والإبدال والإعلال والتصريف ، و اللهجات ، والثقيل والخفيف ، والإدغام، هو – إذا – كتاب نحوى صرف أو يكاد.

لقد ألفه وأهداه إلى بهاء الدولة الذي اعتلى سدة الخلافة في بغداد من عام ٣٧٩ هـ إلى عام ٤٠٣ هـ حيث يقول في ذلك " هذا أطال الله بقاء مولانا الملك السيد

---

[١] مقدمة الخصائص ٦٢/١.

[٢] الخصائص ١٧/١.

[٣] المصدر نفسه ١/٢.

المنصور المؤيد بهاء الدولة وضياء الملة وغياث الأمة ، كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت .. " [١].

وقد اختصره ابن الحاج الأندلسى أحمد بن محمد الإشبيلي من "خصائص العربية" إلى "الخصائص" ليس هذا فحسب بل إن الشيخ أبا اسحق الشيرازي أستاذ المدرسة النظامية فد سمى بعض كتبه بأسماء كتب ابن جنى. [٢]

هذا وكتاب الخصائص يقع في ثلاثة أجزاء ، الجزءان الأول والثالث يتقاربان في عدد الصفحات " ٤١٢، ٤٣٨ " صفحة .

والجزء الثاني يربو على الخمسمائة صفحة ، والأجزاء الثلاثة كلها من القطع المتوسط ، وقام بتحقيق الكتاب محمد علي النجار – مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ط٤ سنة ١٩٩٤م .

طبيعة البحث البلاغي في عصره: -

لم تتسم البلاغة في هذا العصر– القرن الرابع الهجري– بالطابع العلمي، حيث لم توضع لها القوانين ولم تحد لها الحدود، ولم تسم المصطلحات بأسمائها وأوصافها، ولم تقنن المسميات والمفاهيم ، فلم تكن واضحة المعالم ولكن هذا الكلام لا يمكن أن يطلق على علاته وعلى الشياع هكذا، إذ لا يخلو من استثناء هذا الاستثناء المتمثل في كتاب الصناعتين "لأبي هلال العسكري" الذي كان من الرعيل الأول الذي وضع اللبنات الأولى في صرح المصطلحات البلاغية، خلا ذلك فإن البلاغة العربية والنقد الأدبي ظلا ردحا من الزمان مختلطين يتماسان في كل شيء لا تكاد توجد بينهما حدود فاصلة، وعاشا صنوين متجاورين متآلفين قبل أن يضرب بينهما بسور صفيق لصيق، بل إن المفهوم العام للأدب هو عينه المفهوم العام للشعر، وابن جنى في

---

[١] الخصائص ٧١/١.

[٢] وفيات الأعيان :لابن خلكان – ترجمة ابن جنى ٣٦/١

سلوكه هذا الدرب ليس بدعا عن سابقيه ولا شاذا عنهم فهو يسير في معتركهم وفي رحاهم، حيث يحوي كتاب الخصائص مسائل النحو والصرف واللغة والبلاغة والنقد والتفسير وأشعار الشعراء وشرحها.. إلخ.

والحق كل الحق أنه إذا كان ذلك مثلبة – عدم تقعيد البلاغة – فإن التقعيد فد أصاب البلاغة بالجمود والتخلف والتحجر ، حيث كان العالم فيما مضى يتكلم في كل شيء ويترك لخياله العنان في الحديث عن كل شيء ، فيسوقه ذلك إلى إبداع مفاهيم ومضامين لم تكن موجودة وربما كانت جديدة غير مسبوقة وربما مصطلحات ومسميات جديدة ، أما والبلاغة قد أصلت وقعدت فإن المؤلف عندما يذكر كلاما ما فإن المتلقي يقوم بوضع هذا الكلام وإدراجه تحت المسميات المقعدة فيضعه في علم المعاني أو علم البديع أو علم البيان ثم يختار المصطلح الأنسب والأوفق له ، هكذا دونما أي إبداع وكأننا منذ القرن السابع – وقت تقعيد السكاكي للبلاغة – نكرر مصطلحات محفوظة مسكوكة وندور في حلقة مفرغة ضيقها وأحكمها السكاكي لا ننفك من عقالها، لقد تحولت البلاغة على يديه بذلك واستحالت قوالب محفوظة وأدراجا مغلقة وأبوابا موصدة ، فثمة تقليد واتباع لا تجديد وإبداع وكأننا أمام مصطلحات قرآنية لايجوز تخطيها ولا مجاوزتها ، لقد توقفت عقارب الابتكار والخيال لدى المؤلف والمتلقي على السواء بعد السكاكي فلم يعد جديد ، وأصبح المتلقي يجهد نفسه في اختبار أي من المصطلحات والأدراج ليضع كلام المؤلف فيه وتحت رايته ، بينما الوضع جد مختلف في عهد ابن جنى وسابقيه ، هذا ما جناه السكاكي على البلاغة العربية .

نعود بالقول إنك ما إن تعكف على كتاب الخصائص حتى ترى في ثناياه أصولا بلاغية هامة تميزت بطابعها المستقل لدى السكاكي والخطيب القزويني فيما بعد. [1]

---

[1] انظر : مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة – العدد الحادي عشر سنة ١٩٩٢ م مقال الدكتور / محمد لطفي عبد التواب بعنوان " المنحي البلاغي عند ابن فارس " ص ٣٥ .

منهج الخصائص :

هـو ذاتـه مـنهج الدراسـة، حيـث يتسـاهم فيـة أهـل النظـر مـن المتكلمـين والفقهـاء والمتفلسفين والنحاة والكتاب والمتأدبين، التأمل لـه، والبحث عن مستودعه، فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به[٢] فهو إذن منهج جدلى عقلى جمالى تذوقى فكرى نفسى، ثم إنه يخاطب الناس على قدر عقولهم.

لقد كـان كتـاب الخصـائص مـن أهم المصـادر التـي يرجـع إليهـا البـاحثون فـي أصـول الدراسـات اللغويـة والنحويـة ، وإذا كـان ذلـك كذلك فهـو أيضـا لا مندوحـة مـن المصـادر والعمـد الهامـة التـي يرجـع إليهـا البـاحثون والدارسـون فـي أصـول البلاغـة وغيرها من علوم العربية أيضا ولسوف ترى أنه أتى في كتابه هذا بأجزائه الثلاثة على علوم البلاغة جميعا ، وأوفي كل علم حقه بالإسهاب والإطناب .

ثمـة أمـر أحـب أن أنـوه إليـه ، وهـو أن الدراسـة تـدور فـي إطـارين : التفكيـر الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي ،أما عن التفكير الديالكتيكى فحدث ولاحرج فهو هذا التفكير القائم علي مراعاة الجمع بين الأضداد في أغلب الأمور، إنه تفكير يرتكز علي التغيير والحركـة وبعث الحيـاة فـي اللاشـيء هذا أمـر، أمـا الأمـر الآخـر وهوالتحليـل السيكولوجي، فإنما مبعثه النفس، وكيفية تقبلها للأمر ومدي استجابتها أو رفضـها لما يطرح ويتناول أمامها[١].

والآن إلي متن البحث و الدراسة .

---

[٢] الخصائص ٦٨/١ .

[١] انظر : جدلية أبى تمام – د/ عبد الكريم عبد الباقى – دار الجاحظ – بغداد – ١٩٨٠م ص٤٦ .

علم المعاني بين التفكير الديالكتيكي
والتحليل السيكولوجي في كتاب الخصائص لابن جني

المبحث الأول

الإنشاء والخبر بين التفكير الديالكتيكي والتحليل السيكولوجي

الإنشاء قسيم الخبر وصنوه ، وهما عماد الكلام ومنهما يتكون و ينشطر الأسلوب الإنشائي بدوره شطرين : إنشائي طلبي وإنشائي غير طلبي والقدح المعلي ورأس الأمر عندهم الإنشائي الطلبي – الذي ينقسم خمسة أقسام : الأمر والنهي والنداء والاستفهام والتمني أما الإنشائي غير الطلبي فينقسم إلي : مدح وذم وقسم وتعجب ورجاء وأساليب العقود ورب وكم الخبرية، وأسلوب الرجاء أقرب الأساليب إلي الإنشاء الطلبي ولا سيما التمني وبه يلحق وعلي الجمله فإن البلاغيين قد أولوا عنايتهم بالإنشاء الطلبي لأنه أقرب إلى روح البلاغة وروح الشعر وفيه تفنن في القول و خروجه إلي أغراض ومعان تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، أما غير الإنشائى فليس كذلك ، فالمدح هو المدح وكذا سائر الأساليب، كما أنها في الأصل أخبار نقلت إلي الإنشاء.

أضف إلي ذلك أن الأساليب الإنشائية في مجملها ما هي إلا تعبير عن حالات وحدانية ونفسية لصاحبها وتتعلق به علي نقيض غير الإنشائية التي تتعلق بالغير وتتواري نفسية قائلها.

حدالأسلوب الإنشائي والأسلوب الخبري عند ابن جني: -

وقد تناول ابن جنى ذلك عندما أكد أن الفعل في الأسلوب الخبري ظهوره أو عدمه سواء ، لا يوثر في المعنى ، كقولك : الذي في الدار زيد ، وأصله الذي استقر وثبت في الدار زيد ، بينا الأمر ضد ذلك في الأسلوب الإنشائي ، حيث لو ظهر فعل النداء بدلا من أداة النداء (يا) فإن الأمر سوف يستحيل والمعنى سوف يتغير ، ولاستحال الأسلوب الإنشائي أسلوبا خبريا ، قبدلا من القول يا زيد تقول بفعل النداء أدعو زيدا، وأنادي زيدا، فصار النداء – وهو أسلوب إنشائي – إلى "لفظ الخبر

المحتمل للصدق والكذب ، والنداء مما لا يصلح فيه تصديق ولا تكذيب"[١] وهذا ما تواضع وتواطأ عليه البلاغيون فيما بعد .

وما أحسب أن أحدا قد سبق ابن جنى في معرفة حد الإنشاء والخبر ، وكل ما قيل بعد ذلك ما هو إلا تكئة على ابن جنى وآرائه في ذلك ، بل إن عبد القاهر الجرجاني الذي يزعمون أنه واضع علم المعاني[٢] ما آراؤه جلها إلا ترداد لآراء ابن جنى، ولسوف تكشف قادم الصفحات عن ذلك .

الأساليب الإنشائية أصلها أسلوب خبري : -

الأساليب الخبرية أصلها إنشائية طلبية والأساليب الإنشائية غير الطلبية أصلها أخبار: -

هذا لعمري من جديد علم المعاني لديه حيث أكد أن الإنشاء الطلبي أصله خبر وذلك في حديثه عن الأسلوب الاستفهامي " **(ومَنْ)** الموضوعة للاستفهام أخلصت إلى معني آخر ، وقد يكون رجلا ، إنسانا في قولك : " ضرب مَنُ منا " أي إنسان أنسانا أو رجل رجلا " [٣] .

---

[١] الخصائص ١/١٨٧.

[٢] انظر : البلاغة تطور وتاريخ د / شوقي ضيف – دار المعارف – ط٢ – ١٩٦٢م ص ١٦٩، وانظر : محاضرات في علم المعاني – د/ مختار عطية – دار عامر للطباعة وللنشر – المنصورة سنة ٢٠٠٣ م ص ٢٦ وما بعدها .

[٣] الخصائص ٢/١٨١ ، ١/٣٥٠.

ومن ذلك أيضا "قولك : مررت برجل أي رجل ، فنقلت أي من الاستفهامية إلي الخبرية وقصد التعجب"[٤] وذلك لأن أسلوب التعجب من الأساليب الإنشائية غير الطلبية ، وإن كانت في الأصل أخبار .

حد الأسلوب الإنشائي الطلبي وغير الطلبي :

إذا كان البلاغيون قد عرفوا الأسلوب الإنشائي الطلبي بقولهم : هو "ما يستدعي مطلوبا غير حاصل والإنشائي غير الطلبي هو ما لايستدعي مطلوبا" [١] فهم جميعا عيال علي ابن جني الذي سبقهم في ذلك حيث تناول ذلك في تعريفه أسلوب الأمر وهو من فروع الإنشاء الطلبي "جعلوا ا ستفعل في أكثر الأمر للطلب، وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعي فيه والتأتي لوقوعه تقدمه ، ثم وقعت الإجابه إليه ، فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب ، كذا تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة است " التي وضعت للالتماس والمسألة "[٢].

والواضح من الفقرة السابقة أنه قد حد الأسلوب الإنشائي الطلبي باستدعاء مطلوب كما أنه قد تناول في ذات الفقرة أسلوب الأمر ، فالبلاغيون يقولون إنه "استدعاء الفعل على وجه الاستعلاء" [٣]، وهو هنا يتناوله عند تناوله لحروف است " التي تدل على الطلب والاستدعاء والالتماس والاستغاثة واستنهاض الهمم ، يؤكد أن الفعل جاء موافقا لتلك الحروف ومطابقا لها لا ينبوعنها ولا يشذ ، فكأن الفعل استصرخ " جاء معناه الكامن موافقا لحروفه الزائدة (است) فعلى هذا فهو يبتكر طريقا جديدا لطرق الأمر لم

---

[٤] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[١] الإيضاح : للخطيب القزويني المطبعة السنية المحمدية – القاهرة سنة ١٩٧٨ م ص ٩٧.

[٢] الخصائص ١٥٦/٢.

[٣] الإيضاح ص ١٠١.

نألفها من ذي قبل ، حيث حدد البلاغيون صيغ الأمر وهي : فعل الأمر ، المضارع المقرون بلام الأمر ، اسم فعل الأمر ، المصدر النائب عن فعل الأمر ثم ، ثم طريقة أخـــــرى جـــــد جديـــــدة وهـــــي الفعـــــل المبـــــدوء بـ "است" فصيغة الطلب المقرونة بالتعطف والتذلل والاستعطاف ظاهرة في هذه الحروف لا محالة .

ابن جنى سبق علماء البلاغة في تعريف أسلوب الأمر بدقة : -

حيث تناوله عند حديثه عن " است " وأنه للطلب ولكنه هنا يعرفه بما يعطي معنى الاستدعاء، وربما تلقف البلاغيون ذلك منه فهو أبو عذرته – وذلك في تفسيره للفعل هات " وكذلك قولك : هات إنما هو استدعاء منك للشيء ، واجتذا به إليك وذلك على اعتقاد بدل الهاء من الهمزة، أي أخذه من أتيت الشيء والإتيان ضرب من الانجذاب إلي الشيء " [1] وكذلك هيت " إنما معناه هلم لك وهذا اجتذاب واستدعاء وبعد أن استوفى هذه التعريفات يلج إلى المعاني التي تخرج إليها هذه الأساليب فيتناول أسلوب الأمر ، وكيف أنه يخرج إلى معنى **التعجب** ، ويتعدى الاستعلاء والاستدعاء ، وذلك عندما يتناول قول القائل :-

قلنا لها قفي لنا قالت : قاف .

---

[1] الخصائص ٢٧٩/١ وانظر : الطراز – للعلوي – دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٩٨٢م ويعرف أسلوب الأمر بقوله " هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء " ٢٨١/٣.

"وأدل على أنها أرادت : وقفت أو توقفت ، دون أن يظن أنها أرادت : قفي لنا ! أي يقول لي : قفي لنا ! متعجبة منه ، فقولها : (قاف) إجابة له ، لارد لقوله وتعجب منه في قوله" "قفي لنا " [٢] .

ويخرج إلى معنى **التوكيد** وذلك عندما يتناول اسم فعل الأمر هلم " الذي بمعنى "أئت" ، الذي أصله "هالم" ثم حذفت الألف لالتقاء السكانين حيث أصل اللام السكون "أصلها هالم " فكثرا استعمالها وخلطت " ها " بـ لم ، توكيدا للمعنى بشدة الاتصال فحذفت الألف لذلك وأولها ها للتنبيه لحقت مثال الأمر للمواجه توكيدا".[١]

فهو يعني من ذلك كله أن هلم جاءت بهذه الصيغة للتوكيد .

ويخرج إلى معنى **الإباحة والترغيب** وذلك في قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ولو جالسهما جميعا " لكان مصيبا مطيعا لا مخالفا ، لا للفظ (أو) ، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى " أو " وذلك لأنه قد عرف أنه إنما رغب في مجالسة الحسن لما لمجالسته في ذلك من الحظ ، وهذه الحال موجودة في مجالسة ابن سيرين أيضا ، وكأنه قال : جالس هذا الضرب من الناس " [٢]

ويخرج أسلوب الأمر إلى معنى **الدعاء** ، حيث يقول الشاعر :

قم قائما قم قائما رأيت عبدا نائما

وأمه مراغما وعشراء رائما

---

[٢] المصدر نفسه ٢٤٧/١.

[١] الخصائص ٢٧٩/١ ، ٣٧/٣ ، وينكر الفراء أن يكون أصل " هلم " " هالم " كما يرى الخليل وابن جنى إنما أصلها "هل أم " هل للزجر والحث ، ثم ألزمت الهمزة للتخفيف ، فقيل هلم ، انظر: معاني القرآن – الفراء – دار الكتب – سنة ١٩٢٧م ٢٠٧/٢.

[٢] المصدر نفسه ٣٤٩/١ ، وانظر الإيضاح ص ١٤٣.

فهذا رجل يدعو لابنه الصغير [٣]

وقدر يخرج أسلوب الأمر إلى معنى الذل والمهانة منكفئا على ذلك في تفسيره للآية القرآنية "ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ" [٤] إنما هو في الحقيقة الذليل المهان [٥].

حد أسلوب الاستفهام عند ابن جنى: -

لقد استقر البلاغيون في تعريف أسلوب الاستفهام بأنه " طلب العلم بشيء لم يتقدم لك علم به بأداة خاصة " [١] ، ترى ماذا كان مفهوم الاستفهام لدى ابن جنى؟ إنه يتناوله قائلا : المستفهم عن الشيء قد يكون عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه " [٢] ، فالرأيان على طرفي نقيض ، فالمستفهم عند البلاغيين يسأل ليعلم، بينا عند ابن جنى المستفهم يسأل ليتأكد مما وقر في ذهنه وثبت .

أغراض أسلوب الاستفهام: -

وتتبلور تلك الأغراض في : -

١- أن يرى المسؤل أنه خفى عليه ليسمع جوابه عنه .

٢- أو يعرف حال المسئول هل هو عارف بما السائل عارف به أم لا ؟!

٣- أو يرى الحاضر أنه بصورة السائل المسترشد .

---

[٣] المصدر نفسه ١٠٥/٣.

[٤] الدخان : ٤٩.

[٥] الخصائص ٤٦٦/٢.

[١] الإيضاح صفحة ١٣١ .

[٢] الخصائص ٤٦٦/٢.

٤- أو أن يكون من أجل إثبات بعض ما يتوقعه [٣] فأسلوب الاستفهام عنده يأتي إما لمعرفة حقيقة ما، وإما لتأكيد تلك الحقيقة، وإما لنفي الشك لديه، وإما للقضاء على تردد قد يرتاب السائل، وهذه وغيرها من الأغراض قد استوفاها عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن أسلوب الاستفهام، مقتبسا إياها من ابن جنى.[٤]

ويخرج أسلوب الاستفهام إلى معان هي : -

التقرير، وذلك إذا اقترن بنفي، وذلك لأن نفي النفي إثبات، من قوله تعالى "**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**"[١]، ومنه قول الشاعر:-

ألستمْ خيرٌ منْ ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أي : أنتم كذلك ، وإذا اقترنت همزة الاستفهام بمثبت عاد نفيا ، وذلك فى قوله تعالى " **أَأَنْتَ قُلْتَ**" [٢] أي : ما قلت لهم [٣]

ويأتي للاستنكار ، وذلك نحو قولهم : أعمراه ! في جواب قوله : ضربت عمرا ؟

---

[٣] المصدر نفسه ٤٦٦/٢ .

[٤] انظر : دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود محمد شاكر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٥ سنة ٢٠٠٠ م ص ١١١.

[١] الأعراف : ١٧٢

[٢] المائدة :١٦

[٣] الخصائص ٢٧٣/٣ وقد التبس الأمر على د/ عبد القادر حسين، إذ إنه يرى غرض التقرير عند ابن جنى هو ذاته عند عبد القاهر ، والأمر ليس كذلك فى تناوله الآية القرآنية "آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ" إذ المعنى : النفى أى لم يأذن لكم ، وغرضه النفى عند عبد القاهر الجرجانى، انظر دلائل الإعجاز صفحة ١١٥ ، أثر النحاة ص ٣١٩ .

وإذا كانت همزة الاستفهام عند البلاغيين – "رأس الباب" [٤] فهي عنده مخرجة من الاستفهام المحض لأنها لو كانت كذلك ، لأقرت الإثبات على إثباته ، والنفي على نفيه ولكنها قلبت ذلك ، فلا تقول في التقرير : أأنت في الجيش أثبت اسمك كما تقول في الاستفهام الصريح أأنت في الجيش أثبت اسمك ؟ [٥] ويأتي **للتعجب والإنكار** أيضا ، وكذا الأسلوب الخبري يأتي لذات الغرض ، وذلك باد فى قول الشاعر :-

تقول – وصكت وجهها بيمينها – أبعلي هذا بالرحى المتقاعسُ ؟!

فقوله – وصكت وجهها – علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها ، وقوله أبعلى هذا بالرحى المتقاعس للتعجب والإنكار" [١] ولكن انظر إلى القولين السابقين فإنك واجد لا محالة أن درجة الأسلوب الخبري في الإنكار أقوى من درجة أسلوب الاستفهام وذلك حينما قال في – صكت وجهها – قوة الإنكار وتعاظم الصورة وقال عن أسلوب الاستفهام : الإنكار والتعجب. ويخرج أسلوب الاستفهام إلى معنى الاستثبات والتثبت والتأكد نحو قولك: أزيد إنيه ؟! وذاك ضرب من التعجب ، كما أنه يحمل في طياته معنى الإنكار[٢] .

ابن جنى يخالف البلاغيين : -

---

[٤] دلالات التراكيب – د/ محمد أبو موسى – دار العلم ، ط١ سنة ١٩٧٩ م ص ١٩٥.

[٥] الخصائص ٤٦٥/٢

[١] الخصائص ٢٤٦/١

[٢] المصدر نفسه ٤٦٥/٢ وانظر قول الشاعر :

أتو ناري فغلت منون أنتم ؟ فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

أي أنتم المقصودون بهذا الاستثبات، ١٣٣/١.

ومرة أخرى يعود ليؤكد أن أصل الأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية معا خبري – ممثلا لذلك بأسلوب الاستفهام وأسلوب التعجب – حيث يقول في ذلك " إن أصل الاستفهام الخبر ، والتعجب ضرب من الخبر ، فكأن التعجب لما طرأ على الاستفهام ، إنما أعاده إلى أصلة ، إلى الخبرية، مثل قولك مررت برجل أيما رجل، تماما مثل قولك : مررت برجل أي رجل ، وما زائدة " [٣] وهو بذلك يخالف البلاغيين ، الذين يرون أن أصل الأساليب الإنشائية غير الطلبية فقط أخبار والأدلة واحدة في كلامه وهي " أي أو أيما" وذكر غرض أسلوب التعجب حيث يقول : "مررت برجل أي رجل ، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل" [١] فغرضه هنا بلوغ الغاية في الفضل ، وكأن أسلوب التعجب هنا أبلغ من أسلوب الاستفهام ولا غرو في ذلك ؛ فهو الأصل وما عداه الفرع الأصل أقوى من الفرع ويخرج أسلوب الاستفهام إلى معنى **التوكيد** ، وذلك عندما يتناول أداة الاستفهام " هل " وأنها تأتي بمعنى " قد " في بعض الأحيان وبالتالي فهي تخرج إلى معنى الخبرية "فأما هل، فقد أخرجت عن بابها إلى معنى قد" وذلك فى قوله تعالى **(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ)** [٢] ، أي قد أتى " [٣] .

وهو يفلسف خروج " هل " إلى معنى الخبر ، وذلك إذا اجتمعت مع أداة استفهام أخرى فلا يصح اجتماع حرفين لمعنى واحد ، مستشهدا بقول الشاعر :-

سائل قوارض يربوع بشدتنا أهلْ رأونا بسفُح القفّ ذي الأكم

---

[٣] الخصائص ٢٧٢/٣ وهو يخالف رأي المبرد الذي يرى أن الاستفهام أصله استخبار، انظر البلاغة للمبرد ص ٦٠.

[١] الخصائص٢٧٢/٣.

[٢] الإنسان : ١.

[٣] الخصائص ٤٦٥/٢.

أي : أقد رأونا ، وهذا رد على من زعم أن ابن جنى كان يرى أن "هل" لا تستخدم للتقرير[٤] وخلافا لسيبويه الذي يرى أن " هل " لا تأتي للتقرير كغيرها من أدوات الاستفهام[٥] والملاحظ على " هل " أنها في خروجها للتوكيد تأتي بمعنى " قد " دائما .

ويخرج أسلوب الاستفهام إلى معنى **الزجر والحث** ، وذلك في قول لبيد :-

يتمارى في الذي قلت له ولقد يسمع قولي حيَّهَلْ

فهل هنا " لا للاستفهام المحض ، وإنما للزجر والحث " [١]

ويخرج أسلوب الاستفهام إلى معنى **النفي** ، حيث " أجروا (ما) مجرى (هل) كقولك: ما زيد أخوك ألا تراها داخلة على الجملة دخول (هل) عليها للاستفهام، أي: هل زيد أخوك ؟ وكلاهما للنفي " [٢]

ويخرج أسلوب الاستفهام إلى معنى التفخيم والتهويل والتعظيم ، كقوله تعالى **"الْقَارِعَةُ ◆ مَا الْقَارِعَة "**[٣].

---

[٤] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها ، وانظر أثر النحاة في البحث البلاغي – د/ عبد القادر حسين – دار غريب للطباعة والنشر سنة ١٩٩٨ م ص ٩٠ والكتاب ٤٨٦/١ .

[٥] الكتاب – لسيبويه – تحقيق عبد السلام هارون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٧٧ م ٤٨٦/١ .

[١] الخصائص ٣٨/٣.

[٢] المصدر نفسه ١٦٨/١.

[٣] القارعة : ١ ، ٢ ، انظر الخصائص ٥٦/٣.

وقد يخرج أسلوب الاستفهام إلى معنى **الدعاء والتشويق** إلى فعل شيء محبوب وذلك واضح من خلال تفسيره للآية القرآنية " **هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى** " [٤] ، فهذا دعاء من الرسول (ﷺ) ، تقديره : أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى " [٥].

وإذا كان أسلوب الاستفهام يخرج إلى معان أخرى غير المعنى الحقيقي ، فإن أداة الاستفهام – هي أيضا – تخرج إلى معنى آخر – قد يكون العطف ، وذلك كمثل الأداة (أم) عندما تجتمع مع أداة استفهام أخرى حيث يعلق على بيت الشعر القائل:–

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رئمان أنف إذا ما ضُن باللبن

"فأم" في "أصل الوضع للاستفهام، "كيف" كذلك، ومحال اجتماع حرفين لمعنى واحد، فينبغي أن يكون أحدهما قد خلعت عنه دلالة الاستفهام حتى كأنه قال:بل كيف ينفع، فجعلها بمنزلة (بل) في الترك والتحول"[١]

والملاحظ على أدوات الاستفهام عنده الذي سردها، أنه استهلك منها أربع أدوات فقط وهي (الهمزة ، هل ، أم ، كيف)، بينما هي كما حصرها وعددها البلاغيون: حرفان، وتسعة أسماء .

أسلوب النهي عند ابن جنى وأغراضه البلاغية : -

ويتحدث عن أسلوب النهي وكيف أنه يخرج عن معناه الحقيقي – الذي هو الكف عن الفعل إلى معنى آخر ، حيث يخرج إلى الإباحة – تماما كأسلوب الأمر– يقول في ذلك "وعلى ذلك – أي على نسق أسلوب الأمر وخروجه إلى الإباحة – جرى

---

[٤] النازعات : ٩.

[٥] الخصائص ٢/٣١٢ – ٣١٣.

[١] الخصائص ٢/١٨٦.

النهي في هذا الطراز، كما في قوله سبحانه وتعالى " **وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً** " [٢] وكأنه – والله أعلم – قال لا تطع هذا الضرب من الناس فجرت (أو) مجرى (الواو)" [٣] أي عدم طاعة الآثم كعدم طاعة الكافر سواء .

أسلوب النداء عند ابن جنى وأغراضه البلاغية : -

ويتكلم عن أسلوب النداء وأدواته ويبين خروجه إلى معان أخرى ، غير معناه الحقيقي حيث يبين أنه يخرج إلى التنبيه ، وأن من أدواته (ها) وأنها تستخدم أيضا للنداء ، لأنها للتنبيه ، ومادام الغرض واحدا فلم لا تكون (ها) كـ(يا) في النداء ؟! ، وهو هنا يذكرنا ببابه (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) فإذا تشابه وتضاهى وتماثل المعنى ، تشابه وتضاهى وتماثل اللفظ أيضا، يقول في ذلك ، معلقا على قول الشاعر –:

نفلِّق هاما لم تنله سيوفنا بأيماننا هام الملوك القماقم

وإنما هو "ها من لم تنله سيوفنا، أي يا من لم تنله سيوفنا خفنا ، ف (ها) تنبيه" [١]

وتأويل ذلك ، أن الهاء مقلوبة عن الياء ، فكأنها مبقاة على حالها. ويركز في حديثه على رأس الباب في أدوات النداء ، وهي (يا) وكأن أدوات النداء الثمانية قد اختزلت في (يا) ، ولا غرو في ذلك ، فإن القرآن الكريم لم يستخدم إلاها ، ويؤكد أن (يا) هذه"

---

[٢] الإنسان : ٢٤.

[٣] الخصائص ٣٤٩/١.

[١] الخصائص ١٧١/٣ ، ويؤكد على تبادل (ها) ، (يا) الأماكن عندما يتناول قوله تعالى (**ألا يا اسجدوا لله**) أي (ألا ها اسجدوا لله) .

للنداء والتنبيه، أما النداء ، فنحو قولنا : يا زيد ، ويا عبد الله وأما للتنبيه فمن قوله تعالى **(أَلَّا يَا اسْجُدُوا)** [٢] لأنه لم يعقبها المنادى " [٣].

وكما حلت " ها " محل " يا " ، حلت (ألا) أيضا عنده محل أداة النداء (يا) وذلك لأن (ألا) تأتي **لمعنيين**:-

التنبيه والافتتاح ، وهي الفرع ، (يا) هي الأصل حيث يقول " إذا جاء بعد ألا (يا) كانت للافتتاح وتركت التنبيه لـ(يا) وتنازلت عنه لها ، أما إذا لم يأت بعدها أداة النداء (يا)، فهي للتنبيه لا محالة .

من ذلك قولنا : ألا قد كان كذا أي: يا من قد كان كذا ، وقوله سبحانه وتعالى **" أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ"**[٤] أي : يا من يثنون صدورهم " [٥] فهي للتنبيه إذا خلا الكلام من (يا) ، وهي للافتتاح إذا أعقبها ، (يا).

البلاغة الصوتية تسوي بين أسلوب الاستفهام وأسلوب النداء في الغرض :

ويتحدثون عن معنى آخر خرج إليه أسلوب النداء ، وهو الندبة ، في قولك وازيداه والإنكار عنده مضاه للندبة " فأسلوب الاستفهام أريد به الإنكار والتعجب وأسلوب النداء أريد به الندبة إظهارا للتفجع ، وإيذانا بتناكر الخطب الفاجع والحدث الواقع " [١].

---

[٢] النمل : ٢٥.

[٣] الخصائص ٢/٢٠٠ ، ٢/٢٨١، ٣٧٩ .

[٤] هود : ٥.

[٥] الخصائص ٢/١٩٧.

[١] الخصائص ٣/١٥٧.

وتفسير ذلك أن مطل الصوت ومده بهذا التطويل وذاك المد وذلك التراخي الصوتي وبطء المسافة وطولها وكذا طول الزمن وتقادم الوقت والمدة في قولك أزيداه ؟ وفي قولك وازيداه ، كل ذلك قد نقل لنا مدى هول الفاجعة وشدة الخطب الجلل وألم الحدث الأليم ، وما وسيلته في ذلك سوى هذا التنغيم الصوتي وكأني به يهيئ الإنسان لما سيلقى عليه من حمل ثقيل ، لقد حمل التنغيم الصوتي في طياته كل هذه الآلام .

فهو صوت وصوت ، وصوت وصراخ ، وصوت واستصراخ ، وصوت واستغاثة وهذا التطويل الصوتي ربما استرجع به الإنسان ذكريات الماضي فزاده ألما إلى ألم وغما إلى غم ، واستحضر الإنسان أمامه بكل هذا المد الصوتي مشاهد ومعالم هذا الحدث المفجع الموجع ثم ، ثم يأتي الإنكار المستتبع هذا الهزيان واللا وعي حاملا بعدا زمانيا ومكانيا ونفسيا ، كل ذلك نقلته وأدخلته إلينا البلاغةالصوتية وجعلت أسلوب الاستفهام وأسلوب النداء على مسافة واحدة من الحدث .

إذا فليست اللغة " ذلك الصوت المادي ولكنها الأثر النفسي الذي يحدثه ذلك الصوت الذي تقدمه لنا حواسنا وهي صورة حسية تتقابل مع الطرف الآخر أي المتصور الذهنى[١] والإنكار – أيضا – يحمل معني التثبت ، فأنت عندما لا تصدق شيئا ما وتستنكره فأنت تعيده مرة ومرات ، مستخدما أسلوب الاستفهام في ذلك " وذلك عندما تقول في جواب سائل : رأيت زيدا ، من رأيت ؟ " [٢]

---

[١] دروس في الألسنية العامة – دي سوسير – تعريب صالح القرمادي ومحمد الشاوش – الدار العربية – تونس سنة ١٩٨٥ ص ١ .

[٢] الخصائص ٣/٥٨.

ثم إن ابن جنى يفسر لنا لمَ الألف دون سواه في ذلك – في الندبة والإنكار " لأنه أمدهن صوتا ، وأنداهن وأشدهن إبعادا لمعنى الحدث وأناهن " [٣] .

على هذا فصوت الألف لما له من هذه المقومات – المد الصوتي والتطويل اللانهائي والشجن وأنين الحزن الكائن فيه والقوى المساحية والمسافية والبطء الصوتي والتمهل النطقي – قد نقل كل المظاهر السالفة الذكر ، لقد ظهر كل ذلك كأثر تال لهذا التنغيم الصوتي " إن الندبة يتضح فيها دور التنغيم وكذا الاستغاثه فلا ندب دون تصويت وتطريح ولا استغاثة ولا إنكار بلا ارتفاع صوت يسمعه المغيث .. بل إن هذا التنغيم الصوتي هو الذي جعل أسلوب النداء من الأساليب الإنشائية ، كجملة (يا محمد) إنشائية وجملة (أدعو محمدا) الأولى لها تنغيم معروف تحدده وسائل القرب والبعد وتحدده علاقة المنادِي والمنادَي والثانية خلو من هذا الموقف تماما " [٤]

حقا لقد ذهب ابن جنى " لأكثر من ذلك ، فعقد الصلة بين أصوات الألفاظ وبين ما تدل عليه لمحاولته الربط بين دلالة الكلمة وجرس أحد أصواتها أو أحد حروفها سابقا بذلك الفيلسوف الهولندي بوز (h . g . pos) الذي يرى بوجوب علاقة بين الصوت ومدلوله ، وكذا همبلت " [١]

أغراض أسلوب النفي البلاغية عند ابن جنى : -

---

[٣] المصدر نفسه ١٥٧/٣.

[٤] من وظائف الصوت اللغوي د/ أحمد كشك – دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة سنة٢٠٠٥ م ص ١٠١.

[١] الدلالة اللغوية عند العرب – د/ عبد الكريم مجاهد – دار المعارف سنة ١٩٨٥ م ص ٣١– ٣٢ .

ويتكلم عن أسلوب النفي وأداته " ما " وأن غرضه البلاغي الإحاطة والشمول والعموم " أما قولنا ، ما بها أحد ، فإنما للإحاطة والعموم ، وكذلك قوله تعالى (**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء**) ولم يقل واحدة لأن الموضع موضع عموم ، لذا عبر بـ " أحد "[٢]

وقولك " لا يدين بها لك لست بقصد بها نفي يدين ثنتين ، وإنما تريد نفي جميع قواه "[٣]

وهذا ما تلقفه صاحب الإيضاح وسماه سلب العموم [٤].

ويتحدث عن بلاغة العموم وأن العموم يأتي للتوكيد " ألا تراك تقول ، عممت بالضرب جميع القول ضرب كل القول ، ففائدته فائدة قولك : ضربت القوم كلهم اللفظ المعتاد للتوكيد " [٥]

---

[٢] الخصائص ٥٦٢/٣ ، ٣٥٤/١ والآية من سورة الأحزاب : ٣٢ ، انظر الخصائص ٣٣٩/٣.

[٣] المصدر نفسه ٤٧/٣.

[٤] انظر: الإيضاح ص ٦٦ .

[٥] الخصائص ٤٥٩/٢.

الفرق بين مدة الإنكار والندبة عند ابن جنى :

ثم يعقد مقارنة بين مدة الإنكار ومدة الندبة موضحا أن الثانية أكثر اتصالا من الأولى فأنت تقول "وازيداه ! ، وامن كان كريماه ! ، بينما الأولى تتأخر عنه ولا تمسه مماسة الندبة ، أنا إنيه ! وأزيد إنيه ! وذلك ببعدها عن الاسم الذي تبعته وقوع إن ، كما أن مدة الندبة المعنى هو هو ، فزيداه هو من كان كريماه بينما مدة الإنكار خلاف ذلك ، فاللفظ الثاني ليس بالأول، ولا بعبارة عن معناه"[١]

وهناك أيضا مدة التذكر وذلك في قولك ، إذا تذكرت الخليل ونحوه " إلى وعني ومنا ومنذو، أي الخليل وعن الرجل ومن الغلام ومنذ الليلة " [٢]

بلاغة الأساليب الإنشائية غير الطلبية عند ابن جنى : -

ولا ينسى في حديثه عن الأساليب الإنشائية الطلبية أن يميم وجهه شطر الأساليب الإنشائية غير الطلبية ، ومنها أسلوب التعجب ، وقد ذكره آنفا ، ثم يعود إليه ، موضحا أن غرضه البلاغي " التمكن والتوكيد والتثبيت والتقدم ، وما ذاك إلا لأن فعل التعجب قد نقل من فَعَل وفَعِل إلى فَعُلَ ثم بنى منه الفعل فقيل ما أفعله نحو ما أشعره ، إنما هو من شَعُر" [٣]

وكذا اسم الفعل الذي بمعنى أتعجب ونعني به (وى) فإنه يستحيل إلى أصله، إلى : الخبرية فمعني قوله تعالى **" وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِـــرُون "** [٤] أي هم لا يفلحون .

---

[١] الخصائص ١٥٩/٣.

[٢] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٣] المصدر نفسه ٢٢٧/٢.

[٤] القصص : ٨٢ ، وانظر : الخصائص ١٧٢/٣.

ويتكلم عن أسلوب المدح والذم كأحد الأساليب الإنشائية غير الطلبية ويؤكد الغرض البلاغي لكليهما المبالغة والتناهي في ذلك ولذات الغرض لا يتصرفان ولا يؤنثان " وجعلوا عدم تصرف نعم وبئس لحكم من أحكام المبالغة والتناهي في ذلك ، كذا تركوا تأنيثهما أيضا ، نحو قولهم : نعم المرأة وبئس الجارية"[١]

الفرق بين أسلوبي النفي والشرط في حال الأداة إن : -

يذكر ابن جنى هنا لطيفة من لطائفه البلاغية المبتكرة، وذلك في تناوله لـ(إن) فيبين أنها إن جاءت بغرض النفي ، فإن الكلام مؤذن بتمامه، مثل قولك إن قام زيد، أي ما قام زيد أما إذا كانت إن شرطية فإن الكلام ناقص كقولك: إن قام زيد، لأنه يحتاج إلى جواب [٢]

ثم إنه ليتناول أن المفتوحة الهمزة ويؤكد أنها مؤذنة بنقصان الكلام وعدم تمامه ، كما في قولك (أن زيدا منطلق) ، احتاج إلى عامل يعمل في أن وصلتها فتقول : بلغني أن زيدا منطلق ونحوه.[٣]

(فإن) المكسورة الهمزة تحتمل الوجهين ، أما (أن) المفتوحة لا تحتمل سوى النقصان لقد غلف ذلك بغلاف فلسفي منطقي حيث غلب على مباحث ابن جنى طابع الاستقصاء والغوص في التفاصيل والتعمق في التحليل واستنباط المبادئ والأصول من الجزئيات " [٤]

---

[١] الخصائص ٣/٢٤٧.

[٢] انظر : المصدر نفسه ٢/٢٧٤ ، ٢/٢٧٥.

[٣] انظر : المصدر نفسه ٢/٢٧٤.

[٤] مقدمة الخصائص ١/٢٨.

الفرق بين أسلوبي الشرط والقسم : -

وها هو ذا يواصل لطائفه ونكته البلاغية في التفرقة بين الأسلوبين ومؤدى ذلك أن أسلوب الشرط أسلوب ناقص يحتاج إلى تمام، كالمثال السابق: إن قام زيد.

أما أسلوب القسم ، فهو بين بين ، مذبذب ، إذا كان حكاية في القسم أي غير صريح القسم كان تاما ، كقولك : حلفت بالله إما إذا كان قسما صريحا ، فهو بلا شك في عوز إلى أن يتم معناه ، فهو محتاج إلى جواب قسم، مثل قولك: ليقومن زيد ، فهو بذلك محتاج إلى جواب قسم تقديره أقسم ليقومن [1] .

الفرق بين أسلوبي الشرط والاستفهام : -

يقول إن اسلوب الشرط ضرب من الخبر وهو كأسلوب الاستفهام كلاهما له حق الصدارة ولكن ما إن يتقدمهما حرف جر فالوضع جد مختلف ، فقولك : بأيهم تمرر أمرر فهذا أسلوب شرط ، تعلق حرف الجر بالفعل بعد الاسم ولكنه لم يخرج عن حيز الشرط حيث جزم الفعلين : تمرر ، أمرر ، أما قولك بأيهم تمر فإن حرف الجر قد تعلق بالفعل " تمر " وخرج من حيز الاستفهام ولم يعمل في الاسم المستفهم به ولا المشروط به ، فجملة القول إن أسلوب الشرط يعمل سواء سبقه حرف جر أم لا نقيض أسلوب الاستفهام[2]

---

[1] انظر: الخصائص ٢٠/١ ، ٢٧٥/٢.

[2] انظر : المصدر نفسه ١/ ٣٥٣ ، ولكن سيبويه يرى أن أسلوب الاستفهام كأسلوب الشرط، لأن المستفهم يريد من المخاطب أمرا لم يستقر عنده ، كعدم استقرار فعل الشرط ، الكتاب ٥١/١.

أسماء الأفعال بين الخبرية والإنشائية : -

وهو هنا يقسم أسماء الأفعال قسمين : -

١- قسم خبري ٢- قسم إنشائي

أما الخبري فمثل : شتان بمعنى تفرق ، وهيهات بمعنى بعد ، وسرعان بمعنى سرع ، أف بمعنى أتضجر حسّ بمعنى أتوجع ، وهي بمنزلة آه للتوجع أيضا لب اسم لبيك ، وي بمعنى أتعجب ، وكذا ويك [١]

أما الإنشائي فهو مثل ، صه : أي اسكت ، مه : أي اكفف ، دونك : أي خذ ووراءك : أي تنح ، ومكانك أي اثبت ، دراك : أي أدرك ، هلم : أي ائت للتوكيد، ..... وهكذا. [٢]

وتتراءى لنا بلاغة أسماء الأفعال تلك ، التي يؤتي بها لأجل ثلاثة أشياء : -

١- السعة في اللغة ، ولا سيما في وزن وقافية فهذا خاص بالشعر

٢- المبالغة وذلك بالخروج من حال إلى حال ، ومن جنس إلى جنس ، ومن لفظ إلى لفظ فقد أخرجت من الاسمية إلى الفعلية .

٣- الإيجاز والاختصار وذلك لأنه بمنزلة المفرد والمثنى والجمع .

فأنت عندما تخاطب الواحد تقول له : صه ، وعندما تخاطب الاثنين تقول لهما : صه، وعندما تخاطب الجماعة تقول لهم : صه [٣]

---

[١] انظر : الخصائص ٣/٣٦ – ٤٨ .

[٢] المصدر نفسه ٣/٤٣-٥١.

[٣] المصدر نفسه ٣/٤٨ – ٤٩.

ويرى بعض الباحثين أن اسم الفعل هو الفعل نفسه بسبب الاتفاق التركيبي بينهما من حيث "الدلالة الإنشائية والدلالة الزمنية والسياق ، والعلاقة التركيبية واحدة والطلب واحد في التوجه ، كل ذلك حاصل لأن الفعل واسمه هنا من قبيل واحد وهو الإنشاء غير المحتمل للتصديق أو التكذيب " [٤] .

وقوع الخبر موقع الإنشاءعند ابن جنى : -

توجد في اللغة العربية ظواهر أسلوبية شتى ظاهرها الخبر ، وباطنها الإنشاء، من ذلك قوله تعالى **(لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا)** [١] لا تضار : أسلوب خبري نفي، بدليل رفع الفعل المضارع ولو كان إنشائيا نهيا لكان مجزوما ، وكذلك قولهم : هذا الهلال أي: انظر إليه [٢] وفي ذلك أدب ولطف ، وهما من صفات البليغ المرهف. [٣]

وقوع الانشاء موقع الخبر عند ابن جنى : -

من ذلك أنك واجد لفظ الأمر في معنى الخبر ، نحو قوله تعالى **(أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)**[٤]

والمقصود تسمعهم وتبصرهم يا محمد يوم القيامة ملؤهم الحسرة .

وكذلك قوله تعالى **(قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا)**[٥] أي : فليمدن: أسلوب توكيد، خبري[٦].

---

[٤] من وظائف الصوت اللغوي د/ أحمد كشك صفحة ٨٨- ٨٩.

[١] البقرة : ٢٣٣ وهو يريد قراءة (تضار) بالراء المشددة المرفوعه وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ، انظر البحر المحيط ٢١٤/٢ .

[٢] انظر : الخصائص ٣٠٢/٢.

[٣] البلاغة العربية في ثوبها الجديد – علم المعاني – د/ بكري شيخ أمين – دار العلم للملايين – بيروت– سنة ١٩٩٥م، ١٢٠/١.

[٤] مريم : ٣٨.

وكل واحد من لفظ الأمر والخبر قد يقع موقع صاحبه ، فلاخلاف هناك في لفظ ولا معنى.[٧]

وهذه التباديل والتوافيق مرجعها الحس وموئلها الذوق. "وقد عدل الله سبحانه وتعالى عن صيغة الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب إلى الإنشاء الذي لا يحتمل ذلك عناية واهتماما .

بلاغة صيغ الدعاء عند ابن جنى : -

وهي من الأساليب التي يمكن أن نطلق عليها بين بين أي الخبري لفظا الإنشائي معنى مثل قولك "سلاما عليك " وويل له، أمت في حجر لا فيك فهو في المعنى ليس خبر ، إنما هو دعاء ومسألة ، أي ليسلم الله عليك وليلزمه الويل وليبقك الله بعد فناء الحجارة [١].

وكذلك قولك : (لا أبالك) فهو دعاء وإن كان في اللفظ خبرا ، فإنك تخرجه مخرج الدعاء أي أنت عندي ممن يستحق أن يدعى عليه بفقد أبيه [٢].

الأسلوب – كما هو واضح – خبرى والغرض هو الدعاء ، أي غرضه إنشائي وهذه الصيغ دائما أبدا كذلك .

ابن جنى يجانبه الصواب : -

---

[٥] مريم :٧٥.

[٦] انظر: الخصائص ٣٠٣/٢ .

[٧] البلاغة العربية ١٢١/١.

[١] الخصائص ٣١٩/١.

[٢] المصدر نفسه ٣٤٤/١ – ٤٤٥.

حيث جعل الأسلوب الإنشائي ولاسيما الأمر والنهي قاصرا على الفعل بينما الأسلوب الخبري قاصرا على الاسم " والأمر و النهي لا يكونان إلا بالفعل وليس كذلك الخبر لأنه لا يُخص بالفعل" [٣].

وابن جنى هنا قد حاد عن جادة الطريق ، حيث جعل الأسلوب الخبري لا يختص بالأفعال ،نقول له ، وما قولك في أسماء الأفعال التي جعلتها بين الخبرية والإنشائية؟!

هذا هو جهد ابن جنى في مبحث الأساليب الإنشائية والخبرية ، وما أظن أحدا قد تكلم عنها بمثل ابن جنى حتى عبد القاهر الجرجاني لم يستوف حديثه عنها ، بل جاء ناقصا مشوبا فلم يتكلم عنها كاملة ، وغض الطرف عن الأساليب الإنشائية غير الطلبية بل غض الطرف عن الأساليب الإنشائية الطلبية خلا الاستفهام، وهو من يزعمون أنه واضع علمي المعاني والبيان [١] حتى ذلك تناوله في معرض حديثه عن التقديم والتأخير وليس في مبحث مستقل .

---

[٣] المصدر نفسه ٣٩/٣ ، وانظر : ٥٢/٣.

[١] انظر : أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي – مكتبة القاهرة – ط٢ سنة ١٩٧٦ م ص ٧٣ ، كذا دلائل الإعجاز – المقدمة .

المبحث الثاني

الفصل والوصل بين التفكير الديالكتيكي والتحليل السيكولوجي

وينتقل بحديثه إلي ظاهرة الفصل والوصل ويتناوله من إرهاصاته – تلك الإرهاصات التي نشأت لخدمة وفهم قرآننا العظيم – حتي تطوره واستوائه وبلوغه الشكل المعروف المألوف لدينا ، فلقد كان معروفا عند الفقهاء والمتكلمين باسم " الوقف والابتداء " وذلك في حدود وإطار الدراسات القرآنيه ونوعية القراءات ، كما نتلمس ذلك عند أبي بكر الأنباري وكذلك دراسة ابن وهب في كتابة البرهان في وجوه البيان " [١].

ويتضح ذلك عند ابن جني من خلال بعض موضوعات كتبه المعنونة بذلك مثل باب " في تعارض السماع والقياس " [٢] وباب (الساكن والمتحرك) ، أي : الفصل والوصل ، باب (في الحكم يقف بين الحكمين)[٣] فهي منزله بين المنزلتين ،بين الفصل والوصل .

ونراه في ذلك يؤكد علي قيمة البلاغة الصوتية ، فأنت عندما تقول للمذكر أنت وتقول للمؤنث أنت ، فلولا أن هناك صوتا ، لما وجدت فصلا " [٤] .

---

[١] انظر : مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة – العدد الثامن عشر – سنة ٢٠٠٩م ص ٨ من مقال د/ هلال عطا الله عثمان بعنوان " الجذور الأولى لظاهرة الفصل والوصل قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني" ، كذلك أثر النحاة في البحث البلاغي ص ٨٥ ، ٣١٥ ، ٣١٦

[٢] الخصائص ١١٨/١.

[٣] المصدر نفسه ٣٣٠/٢ ، ٣٥٠/٢.

[٤] المصدر نفسه ٣٣٠/٢ .

وللبلاغة الصوتية دور في مراعاة قواعد التلاوة من مد وغن وإظهار وإخفاء ووقف ووصل والظاهرة إما أن تكون فصلا أو وصلاولكنه يؤكد علي وجود مرحلة ثالثة بين الظاهرتين .

يقول في ذلك معلقا علي بيت الكتاب :-

له زجلٌ كأنه صوتٌ حاد إذا طلب الوسيقة أو زميرُ

فقوله (كأنه) ليس علي حد الوصل ولا علي حد الوقف ، لأن الوقف يقتضي السكون (كأنه) والوصل يقتضي أن تمكن واوه فيقول (كأنهو). [١]

ونفس الشأو عندما يتناول هذا البيت :-

يا مرحباه بحمار ناجيهْ إذا أتي قربته للسانيهْ

فقوله(يا مرحباه) بالضم ، لا علي نية الوقف ولا الوصل ، لأن الوقف يقتضي السكون والوصل يقتضي حذف الهاء فتكون يا مرحبا[٢]

وهو لا يري الجمع بين الفصل والوصل كالجمع بين الضدين ، فمثلا كلمة (مرحباه) لم تأت بحركتين وإنما جاءت بحركة بين بين ،فمن أراد الوقف فليسكن ومن أراد الوصل فليمكن الواو، فذلك ليس مضاهيا بحقيقة الضدين ، كالسواد والبياض ، والحركة والسكون فالأمر هنا جد مختلف [٣] .

---

[١] انظر: مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة – العدد الحادي عشر سنة ١٩٩٢ م من مقال د/محمد رشدي بعنوان "حول البلاغة الصوتية" ص ٢٨٠.

[٢] المصدر نفسه ٣٦٠/٢ ، انظر ٣٣٣/٢

[٣] الخصائص ٣٦١/٢

فالواضح للعيان هنا ،أن ظاهرة الفصل والوصل مرت بمرحلتين :-

مرحلة تجويدية خاصة بالقرآن الكريم وأحكامه ، **ومرحلة بلاغية** ، والمرحلة البلاغية جاءت تلية التجويدية وهناك رابط مشترك بينهما ، فمثلا الفصل يناسبه الوقف ،الوصل يناسبه الاستئناف والمنزلة بين المنزلتين يناسبها التوسط بين الكمالين ،كما أن الوقف بالسكون يناسبه الفصل ،الوصل بالحركة يناسبه الوصل بالواو والمعروف أن أقوي الحركات الضمة والضمة تكاد تقترب من الواو ، إن لم تلاصقها.

ولكن ماذا قالوا عن الفصل والوصل ورأي ابن جني في ذلك؟:-

هو عند الجاحظ البلاغة وحسب "البلاغة معرفة الفصل والوصل". [١]

هو عند عبد القاهر الجرجاني وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك : أنهم "جعلوه حدا للبلاغة".[٢]

هو عند الخطيب القزويني "ولهذا قصر بعض العلماء " البلاغة علم معرفة الفصل من الوصل"[٣]

ويقول ابن جني في ذلك " وذلك أنك كلما أردت تمكين الصوت ، وتوفيته ليمتد ويقوي في السمع كان الوصل لأن الوقف يضعف الحرف " [٤] فابن جني يستحسن الوصل

---

[١] البيان والتبيين – للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة سنة ١٩٦٨ ٨٨/١ وليس ابن جنى كما يزعم السبكي، انظر: عرو س الأفراح ١٢٣/١، وانظر : أثر النحاة ص ٢٨٩.

[٢] دلائل الإعجاز ص ٢٣٠.

[٣] الإيضاح ص ١٤٧.

[٤] الخصائص ٣٣٠/٢.

ويستقبح الفصل ،لأن الوصل تقوية وتمكين الصوت والحرف في الأسماع،الوقف أ و الفصل يضعف ذلك ويفتره .

وهو يكرر ذلك في أكثر من موضع في كتابه معللا بذلك وصول المعني إلي تمامه[٥] وعلي ذلك ، فإن الفصل ترك واو العطف ، الوصل استخدام تلك الواو.

ونتكلم : أولا عن مواضع الوصل وهي : -

١ - التشريك الإعرابي : -

ففي قولك "مررت بزيد وعمرا" ألا تري أنك تحكم لموضع الجار والمجرور بالنصب لذاك "[١] فهو يريد القول هنا إن الوصل واجب ، لأن الحكم الإعرابي واحد وهو النصب "ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشترك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أثر في إعرابه ، فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب نحو أن المعطوف علي المرفوع بأنه فاعل مثله ، والمعطوف علي المنصوب بأنه مفعول به أو فيه " [٢] ، هذا قول عبد القاهر الجرجاني وواضح ا قتراب الكلام بعضه من بعض ، ومدي تأثر الجرجاني بابن جني .

فهذا التشريك مسوغ من مسوغات الوصل والعطف "حتي إنك لتجيز العطف عليهما جميعا بالنصب" [٣] وكذلك قوله " إجازة زيادة الواو في خبر كان ، نحو قولهم : كان ولا مال له، أي كان لا مال له ووجه جوازه عندي شبه خبر كان بالحال ، فجرى

---

[٥] المصدر نفسه ٣٣٣/٢.

[١] الخصائص ١٠٧/١.

[٢] دلائل الإعجاز صفحة ٢٢٣.

[٣] الخصائص ١٠٣/١.

مجرى قولهم جاءني ولا ثوب عليه " فهذا التشريك الإعرابي والقياس عليه سبب من أسباب الوصل ، فكما أن خبر كان والحال كلاهما منصوب ، فكذا وجب الوصل لهذا الاتفاق الإعرابي.

ومنه أيضا أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولي، وذلك أثناء تعليقه علي هذا البيت : -

وكيف لا أبكي علي علاتي صبائحي ، غبائقي ، قيلاتي

أي : كيف لا أبكي علي علاتي ، التي هي صبائحي وغبائقي وقيلاتي ،فيكون هذا من بدل الكل ، والمعنى أن منها صبائحي ومنها غبائقي ومنها قيلاتي" [١] وكذلك قولنا "زيد فمنطلق ذلك لأن هذه الفاء جوابا لسؤال سائل كيف حال زيد هل انطلق زيد" ؟ [٢].

٢ - كمال الانقطاع : -

ويتمثل ذلك في أن تكون إحدي الجملتين إنشائية والأخري خبرية ، حيث يتناول ذلك في الآية القرآنية **"وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً "** [٣] يقول حيث الأولي إنشائية طلبية (نهي) والثانية (واتبع هواه) خبرية وهذا موضع من مواضع الفاء إذا كانت الأولي سببا للثانية والثانيه مسببا عن الأولي ، كقولك : أعطيته فأخذ .

---

[١] الخصائص ٢/٢٨٣.

[٢] المصدر نفسه ١/٣١٣.

[٣] الكهف : ٢٨.

ولكن مجيء الواو هنا دليل علي أن الثاني ليس مسببا عن الأول، وإذا لم يكن كذلك كان معني أغفلنا قلبه عن ذكرنا ،أي صادفناه غافلا علي ما مضي ،لا محالة ، فقد غفل " [٤] .

فتباين نوع الجملتين مسوغ للوصل ، ولولا الجانب الفكري والنفسي – اللذان هما مداربحثنا – لما عرف هذا الموضوع " ولولا ما تعطيه العربية صاحبها من قوة النفس ودربة الفكر لكان هذا الموضع ونحوه مجوزا عليه غير مأبوه له " [٥] وقد تناوله ابن الأثير وأخذه بنصه وفصه حيث قال بتحول معني أغفلنا قلبه إلي "صادفناه غافلا ، لأننا نقول : أعطيته فأخذ ، ولا نقول أعطيته وأخذ " [١] .

والواقع أن إغارة ابن الأثير علي كتب ابن جني واستلابه لآرائه ليس فيها جدال بل علي كتب السابقين بصفة عامة، وما آراءابن الأثير– من وجهة نظري – إلا ترداد وجمع لما سبق – "ومما أذكره هنا أن ابن الأثير هذا نقل فصلا عن الخصائص برمته ولم يعزه إلي أبي الفتح ، الذي يتكلم فيه عن الصناعة المعنوية"[٢].

٣ - التوسط بين الكمالين : -

---

[٤] الخصائص ٢٥٧/٣.

[٥] المصدر نفسه ٢٥٨/٣.

[١] المثل السائر – لابن الأثير – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة البابي الحلبي وأولاده – مصر سنة ١٩٦٨ م ٢٣٩/٢.

[٢] مقدمة الخصائص ٣٤/١ وهو يقصد الجزء الأول من الخصائص ص ٢١٨ وما بعدها وانظر: أثر النحاة ص ٣٢٨، ٣٤٤ والمثل السائر ٣٧٣/١.

وهواتفاق الجملتين خبرا أو إنشاء ، وكان بينهما جامع أو مناسبة تامة في المعني ، ولم يكن هناك مانع من العطف ففي" قولنا : اختصم زيد وعمرو ، فهذا لايجوز أن يكون الواو فيه إلا لوقوع الأمرين في وقت واحد" فهذا يدلك علي وجوب الوصل لهذا التناسب خبرا ومعني ولفظا ووقتا ، اتفاق في كل شيء.

هذه هي مواضع الوصل ، كما تواضع عليها البلاغيون .

ثانيا : مواضع الفصل : -

١ - كمال الاتصال : -

وتناول ذلك في قوله " أعطيته فأخذ فهذا من مواضع الفاء لا الواو إذا كانت الأولى سبباً للثانية والثانية مسببا عن الأولى " [٣] فهو يريد القول إن هنا وصلا بسبب الاتحاد التام في الخبرية واللفظ والمعنى وكذا الوقت هو اتصال في كل شيء

٢ - كمال الانقطاع : -

وعدم وجود مناسبة أو جامع بين الجملتين وذلك في تعليقه على البيتين:-

اعتاد قلبك من سلمى عوائده وهاج أهواءك المكنونة الطللُ

ربعٌ قواء أاذاع المعصرات به وكلُّ حيران سار ماؤه خضِلُ

ألا ترى أنهم لم يجيزوا أن يكون ربع " بدلا من الطلل ، من حيث كان الربع أكثر من الطلل ولهذا حمله سيبويه على القطع والابتداء – يعني الفصل – دون البدل والاتباع

[٣] المصدر نفسه ٢٥٧/٣، وانظر دلائل الإعجاز ص ٢٣٣ – ٢٣٤ لترى تماثل الكلام في أسلوب الشرط.

" [١] فهو يريد القول بالفصل لأن الثانية ليست بدلا من الأولى ولو كانت كذلك لكان وصلا ، وهذا محال لأن البدل يكون بعضا وجزء امن المبدل أما هنا فهو أشمل وأعم لذا وجب الفصل ، ونفس الشيء سلبه عبد القاهر " والربع لا يكون بدلا من الطلل لأن الربع أكثر من الطلل والشيء يبدل مما هو مثله أو أكثر منه فأما الشيء من أقل منه ففاسد لا يتصور" [٢].

وهناك موضع آخر وهو أن تكون **الجملة الثانية بيان وتفسير للأولى** وذلك في معرض حديثه عن الآية القرآنية (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**)[٣] فقولنا " الله أحد تفسير للضمير (هو) ألا تعلم أن الضمير على شريطة التفسير لا يوصف ولا يؤكد ولا يعطف عليه ولا يبدل منه " [٤] وهذا آكد عند عبد القاهر الجرجاني [٥] وكذا عند الخطيب القزويني في أن من مواضع الفصل أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولى أو بيانا لها[١] .

٣ - شبه كمال الاتصال : -

وهو أن تكون الجملة الثانية جوابا لسؤال مضمر مقدر اشتملت عليه الأولى واقتضته فتنزل الأولى منزلة السؤال والثانية منزلة الجواب ولابد أن يفصل بين السؤال والجواب كما يطلق على هذا الموضع استئنافا ويأتي كثيرا مع قال ومشتقاتها مفصولا غير معطوف " [٢].

وقد تناول ذلك ابن جنى تعليقا على هذا البيت:-

---

[١] دلائل الإعجاز ص ١٤٧ .

[٢] المصدر نفسه ٢٢٩/٣ .

[٣] الإخلاص : ١ ، ٢ .

[٤] الخصائص ١٠٦/١.

[٥] دلائل الإعجاز ص ٣١٩.

[١] الإيضاح ١٥٣/١.

[٢] دلائل الإعجاز ص ٢٣١ ، الإيضاح ص ١٥٦ .

ثم قالوا تحبها ، قلت : بهرا عدد القطر والحصى والتراب

" أما حذف حرف العطف ، فنحو القول السابق وأظهر الأمرين فيه أن يكون أراد : أتحبها؟ " [٣] فهو يريد التأكيد على اطراح حرف العطف في (تحبها، قلت بهرا) لأن الجملة الأولى تضمنت سؤالا مفاده (أتحبها) فوجب ترك العطف ، ولا سيما مع قال ومشتقاتها .

٤- التوسط بين الكمالين:-

حيث لا يرى طرح الواو في قوله تعالى " **حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** "[٤].

كما يراه الكوفيون وأن الواو " ليست بزائدة " [٥] حيث إن الجملتين متفقتان خبرا والجامع بينهما موجود.

هكذا لم يترك ابن جنى في هذه الظاهرة موضعا لقلم .

وهو في تناوله للفصل والوصل يفرق بين الفاء والواو ، وهو يوضح أن الفاء للفصل ذلك لأن الأول يكون سببا للثاني والثاني يكون مسببا عن الأول فبينهما كمال اتصال ، فأنت تقول ، جذبته فانجذب ، ولا تقول وانجذب ، أي "إن هذه الترابط يأتي من الفاء وليس من الواو" [١] ولننظر ما قاله عبد القاهر الجرجاني في ذلك عندما يتناول بيتى المتنبي:-

تولوا بغتة ، فكأن بيْنا تهيبَّني ففاجأني اغتيالا

فكان مسير عيسهم ذميلا وسيرُ الدمع إثرهم انهمالا

فقوله " فكأن بينا تهيبني " مرتبط بقوله (تولوا بغتة) وذلك أن الثانية مسبب والأولى سبب وإذا كان كذلك كانت مع الأولى كالشيء الواحد مما لا يمكن إفراده عن الجملة

---

[٣] الخصائص ٢/٢٨٢ .

[٤] الزمر : ٧٣.

[٥] الخصائص ٣/٢٥٧.

[١] الخصائص ٢/٤٦٤.

لأنا إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى"[٢] ماذا لوضعنا كلام ابن جنى السابق إيذاء كلام عبد القاهر الجرجاني اللاحق لا شيء إلا أن الكلام يكاد يتماثل ويتشابه ،إن تأثر عبد القاهر باد لا خفاء فيه .

وبعد ....،،

فلقد أتي ابن جني علي مواضع الفصل والوصل ، ولم يترك شيئا للاحقيه وعلي الرغم من ذلك نري د/عبد القادر حسين في كتابه أثر النحاة في البحث البلاغي لم يشر إلي هذه الظاهره عنده مطلقا لا من قريب ولا من بعيد ، هو تجاهل متعمد مقصود، لا غضاضة في ذلك ، ونراه يلهث وراء سيبويه، المبرد الفراء ، في إظهار نتف وذرات ، ربما لا تؤثر بقليل أو كثير، بينما يترك هذا الصرح الشامخ وهذه الشجرة السامقة [٣] وكذا الشأن أيضا مع د/ هلال عطا الله الذي ضرب صفحا عن الذكر عن هذه الظاهرة عند ابن جني، بل إنه ليذهب لأبعد من ذلك ، عندما يؤكد دور عبد القاهر الجرجاني وسبقه في ذلك ، أي سبق وأي فضل ؟ إن السبق والفضل للمتقدم لابن جنى[١] .

المبحث الثالث

---

[٢] دلائل الإعجاز ص ٢٤٤.

[٣] أنظر : أثر النحاة في البحث البلاغي ص ٢٨٣، ٣٤٧

[١] انظر : مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصوره – العدد الثامن عشر سنة ٢٠٠٩م من مقال للدكتور هلال عطا الله بعنوان " الجذور الأولى لظاهره الفصل والوصل قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني من ص ٣-٣٢.

التقديم والتأخير بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجى

ثم ينتقل إلى التقديم والتأخير أو نقض الرتبة ويسميه " شجاعة العربية " [١] ولهذا دلالة واضحة من حيث اعتباره أن من ينقض هذا الترتيب الممل المضني الذي طالما ألفه وولع وأغرم به الناس من ذي قبل فهو شجاع – حقا – جسور وكأني به يقول ، إن الترتيب المحفوظ المركوز في الطبع من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر لا يستنهض همم القارئ ولا يستحثه على متابعة العمل الأدبي ، لتلك الملالة وهذا السأم وربما كان عدم الترتيب والتنظيم والتنسيق في التآليف ذي قبل – وان لم يكن مقصودا فهذه كانت طبائع التآليف – كانت دافعا على مواصلة تصفح هذه المؤلفات ، يستنهضه الشوق إلى متابعه المعلومة والوقوف عليها حتى آخرها إذ كانت تأتي مجزوءة على صفحات متباعدة وأجزاء متفرقات فكل ذلك كان يدفع النفس التواقة إلى الكمال – دفعا إلى الاطلاع والاستزادة متذرعة بالصبر ، متسلحة بالمصابرة والمثابرة حتى يجدوا ضالتهم ويطفئوا غلتهم ويستبين طريقهم ، نعود بالقول إلى التقديم والتأخير ، فقد جاء في أماكن متفرقات متبعثرات ويقسمه على ضربين :-

١- أحدهما ما يقبله القياس.

٢- الآخر ما يسهله الاضطرار (الضرورة الشعرية) [٢] .

ويتناول في الضرب الأول تقديم المفعول على الفاعل تارة ، وعلى الفعل الناصبة أخرى مثل : ضرب زيدا عمرو ، زيدا ضرب عمرو، ضرب عمرو زيدا "دون أن يؤدي ذلك إلى تردد في معرفة الفاعل والفعل والمفعول لأن التحليل المنطقي لا يرى

---

[١] الخصائص ٥٠٨/٢.

[٢] المصدر نفسه ٣٨٤/٢.

في ذلك أي اختلاف" [١] ، وكذلك تقديم الحال والظرف ولن نستطرد في تلك الأمور النحوية ، ولكن ما يهمنا هنا ما كان ذا صلة بالبلاغة وهو لا يجيز التقديم والتأخير هكذا على علاته ، ولا يبيح تلك الشجاعة العربية ويطلقها على عواهنها ، بل يقيدها تقييدا ومرد الأمر عنده القبح والجودة حيث يقول " هناك أمور قبح فيها التقديم والتأخير ، ولا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف وذلك على غرار قول الشاعر :-

فليستْ خراسان التي كان خالدٌ بها أسد إذْ كان سيفا أميرها

حيث قدم (أسد) وهي مضاف إليه على المضاف (إذ) فهذا من القبح والفساد ما لاخفاء به ولا ارتياب"[٢] ويبدو أنه متأثر في ذلك بسيبويه الذي مدار التقديم والتأخير عنده الحسن والقبح " ويحتملون قبح الكلام حين يضعوه في غير موضعه ، لأنه مستقيم ، ليس فيه نقص ، فمن ذلك قول عمر ابن أبي ربيعة :-

صددت فأطول الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدومُ

وأصل الكلام " قل ما يدوم وصال " [٣] وهو يتناول تقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل والمعطوف على المعطوف عليه والظرف ، وهو بذلك أوسع وأشمل في التناول عن عبد القاهر الجرجاني الذي مدار حديثه في التقديم والتأخير عن المفعول به وكذا المبتدأ والفاعل لا غير مع إنه جاء لاحقا عليه وربما أخذ تقديم المفعول عند

---

[١] اللغة – فندريس – ترجمة محمد عجينة – الدار العربية – تونس سنة ١٩٨١ م ص ١٨٧.

[٢] الخصائص ٣٨٩/٢ ، ٣٩٩ .

[٣] الكتاب ٤٨٣/١.

ابن جنى حيزا لا بأس به ، وذلك لأنه "جزء من الفاعل ، فصار كأنهما شيء واحد" [٤].

والتقديم جاء عنده لعلة بلاغية ونكتة أسلوبية وهي " للعناية والاهتمام بشأنه " [١].

وهو بذلك يناقض ما ذهب إليه الدكتور عبد القادر حسين حينما تناول التقديم والتأخير عند ابن جنى ، وقد جاء تناولا مضطربا مهزوزا مشوشا لا يقر على قرار ولا يستقر على رأي ، حيث أكد أن التقديم والتأخير عند ابن جنى وأستاذه أبي علي الفارس ليس لعلة بلاغية من الاهتمام بشأن المقدم أو العناية به أو التنبيه عليه ليس لشيء من ذلك إطلاقا ، ثم يعود عن هذا الرأي ويرجع عنه مؤكدا أن ابن جنى يقرر أن تقديم المفعول لنكتة بلاغية وهي العناية بشأنه [٢] بل إن ابن جنى يقرن ذلك التقديم لعلة نفسية أيضا ، حيث يقول في ذلك "إن العرب قوي في أنفسها أمر المفعول حتى كاد يلحق عندهم برتبة الفاعل حتى قال سيبويه فيهما (وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم) فهذا يدلك على تمكن المفعول عندهم ، وتقدم حاله في أنفسهم " [٣]

إنه يجعل المفعول مقدما على الفاعل من الناحية النفسية ، فالنفس تستسيغ تقديمه كالفاعل على الفعل بل أكثر.

ومن هذا النوع الأول – تقديم ما يقبله القياس – التقديم الوجوبي ، كتقديم المعرفة على النكرة مثل قولك عندك مال ، وقد تقدمت النكرة ولكن بشرط النفي ، كقولك ما

---

[٤] الخصائص ٢٩٧/١.

[١] الخصائص ٣٨٦/٢.

[٢] انظر : أثر النحاة في البحث البلاغي ص ٨٥ ، ٣١٥ ، ٣١٦.

[٣] الخصائص ٢٢٠/٢.

بساط تحتك ، وبشرط الاستفهام أيضا كقولك هل غلام عندك ؟ وكذا سائر الأسماء المستفهم بها والمشروط بها [٤].

وهذا هو عين دستور التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني [٥] .

ويدخل التقديم والتأخير عنده منعطفا خطيرا جديدا كل الجدة ، إذ يجعله من باب غلبة الفروع على الأصول وتمكن الفروع ، فهو بذلك أدخل في باب التشبيه المقلوب (المعكوس)، وذلك عندما يتناول جر (الوجه) من قولك هذا الحسن الوجه تشبيها بـ(الضارب الرجل) على الرغم من أن (الضارب الرجل) الفرع قد شبه بـ(الحسن الوجه) الأصل ثم عاد فعكس ذلك لأن الفرع صار كالأصل ، وكذا المفعول كالفاعل " فكذلك أيضا يصير تقديم المفعول لما استمر وكثر كأنه الأصل وتأخير الفاعل كأنه أيضا الأصل " [١].

إذا فتقديم المفعول على فاعله صار قسما وأمرا قائما برأسه ، لذا كان القطب عند ابن جنى ومن ثم عند عبد القاهر الجرجاني الذي يترسم خطاه في كل شيء والواقع أن "تقديم المفعول وربطه بالمسلك العام للانحراف عن الأصل قد تكفل به ابن جنى وطوره وهو مثل عبد القاهر، لا يغيب عن باله فكرة العناية والاهتمام بالمتقدم"[٢].

---

[٤] المصدر نفسه ١/٣٠٠.

[٥] انظر: دلائل الإعجاز ص ١١١ – ١٣٨.

[١] الخصائص ١/٢٩٩.

[٢] نظرية اللغة فى النقد العربي د/ عبد الحكيم راضي – الخانجي – القاهرة سنة ١٩٨٠م ص ٢٢٨.

ثم نأتي لنوع التقديم والتأخير الثانى وهو المتمثل في التقديم للضرورة الشعرية وغرض التقديم هنا (الاتساع في الكلام) [٣] ، وهذا لعمري غير مسبوق وهو ما عارضه عبد القاهر فيما بعد [٤] ، وهذا التقديم والتأخير ما يسميه علماء البلاغة (التقديم والتأخير لرعاية السجع والوزن) [١] ويسميه آخرون بالتعقيد وقد تناوله المبرد بنوعيه (لفظا ومعني) وذلك في حديثه عن بيت الفرزذق :-

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

"إذ إنه من أقبح الضرورات، وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني وقد هجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير" [٢]

وقد تناوله ابن جنى عندما تناول البيت القائل :-

أيا بن أناس هل يمينك مطلقٌ نداها إذا عُد الفعال شمالها

فإنه "أراد : هل يمينك شمالها مطلق نداها، فـ(ها) من (نداها) عائد إلى الشمال لا اليمين"[٣] بل يصل به إلى أن ينعته بالأغرب والأفحش والأذهب في القبح .

عندما يتناول هذا البيت :-

---

[٣] الخصائص ٣٨٨/٢ ، وذلك في قول الشاعر :

ألا يا نخلة من ذات عرق عليه ورحمة الله السلام

فحملته الجماعة على هذا : عليك السلام ورحمة الله وهذا من باب تقديم المعطوف.

[٤] انظر : دلائل الإعجاز ص ١١٠.

[١] انظر : الإيضاح ص ٣٢ وعلوم البلاغة ص ٩٣.

[٢] انظر : الكامل للمبرد ١٨/١ ، وأثر النحاة ص ٢٩٤.

[٣] الخصائص ٤٠٣/٢.

لها مقلتا حوراء طلَّ خميلةٍ من الوحش ما تنفكُّ ترعى عرارُها

أراد : لها مقلتا حوراء من الوحش ما تنفك ترعة خميلة طل عرارها فمثل هذا لا نجيزه للعربي أصلا ، فضلا عن أن نتخذه للمولدين رسما [٤] .

وهو يقف موقفا بين بين بالنسبة لهذا النوع – والقدماء والمحدثون في ذلك سواء حيث يقول "وإذا كان كذلك فما كان من أحسن ضروراتهم ، فليكن من أحسن ضروراتنا ، وما كان من أقبحها عندهم فليكن من أقبحها عندنا ، وما بين ذلك بين ذلك " [٥] .

ويسوق لنا أسباب ذلك – مرجعا إياه إلى الناحية النفسية – وهي : -

١ - السعة في الكلام .

٢- الفسحة والاضطراب .

٣- الشجاعة وليس ضعف لغته .

٤- قوة طبعه وشهامة نفسه وتجشمه مالا يتجشم وكأني به يذكرنا بما وصفه بـ(شجاعة العربية).

٥- جوره وتعسفه .

٦- نفسه المتعالية [١].

فهو يرى في سلوكه هذا الضرب الوعر إنما ينم عن نفس متمردة على المألوف ، ونفسه الوثابة تلك لا ترضى عن ذلك بديلا وليس هذا دليلا على قصور في

---

[٤] المصدر نفسه ٣٣١/١.

[٥] المصدر نفسه ٣٢٥/١.

[١] الخصائص ٣٩٤/٢ ، ٣٠٦/٣.

فصاحة لغته ، بل هو كالفرس الجموح ولكن بلا لجام ، فنفسه الولعة الطامحة الطامعة إلى الغريب العجيب هي التي دفتعه لذلك، وعلى ذلك ، فالأسباب السابقة تدور في معظمها عن الحالة النفسية لصاحبها كما أن جملة الأسباب السابقة تدور بين المدح والقدح وإن كان في غالبيتها تدل على التهور والاندفاع وعلى الجملة فإنه يتفق مع الجميع على ترك واجتناب وتجنب هذا النوع وأنه يحبذ النوع الأول "وهذا ونحوه مما لا يجوز القياس عليه، غير أن فيه ما قدمنا ذكره من سمو الشاعر وتغطرفه وبأوه وتعجرفه. فاعرفه واجتنبه"[٢].

التقديم والتأخير بين ابن جنى وعبد القاهر الجرجاني : -

ومما لا شك فيه أن التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني ما هو إلا صورة ممتدة من صور ابن جنى ، فهو بعد أن يثني عليه قائلا " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن، واسع التصرف ، بعيد العناية" [١] **ويقسمه قسمين:-**

١- **تقديم على نية التأخير:-** مع بقاء الحكم الإعرابي كما هو وذلك من قولك منطلق زيد ، ضرب عمرا زيد ، فمعلوم أن (منطلق ، عمرا) لم يخرجا عن الحكم الإعرابي .

---

[٢] المصدر نفسه ٣٩٥/٢ ، وقد أنكر ذلك ابن طباطبا العلوي في عيار الشعر ص ٤٣ وكذا العمدة ٢٦٠/١ وكذا الخطيب القزويني ، حيث **قسمه قسمين** :-

١- قسم راجع إلى اللفظ وهو يختل نظم الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه.

٢- قسم راجع إلى المعنى وجعلوا عدم التعقيد شرطا من شروط فصاحة الكلام، انظر الإيضاح ص ٦ .

[١] دلائل الإعجاز ص ١٠٦.

٢- **تقديم لاعلى نية التأخير** :- كقولك : زيد المنطلق ، المنطلق زيد وهو نفس النوع عند ابن جنى ، في جواز تقديم الخبر على المبتدأ ، والمبتدأ على الخبر، نحو : قائم أخوك ، وفي الدار صاحبك ، وكذا خبر كان وأخواتها على أسمائها وعليها أنفسها ، وكذا خبر ليس ، نحو زيدا ليس أخوك " [٢].

إذا فلا فضل لعبد القاهر فى هذا التقسيم فهو من ابن جنى بنصه وفصه، أضف إلى ذلك أن ابن جنى قد تحدث عن أشياء لم يتحدث عنها سابقوه ولا تالوه، من تقديم الظرف، وذلك للاتساع، والمعطوف والحال، مما حدا ببعض الباحثين إلى القول بأن" علل التقديم والتأخير عند عبد القاهر تبدو مشوبة ناقصة " [١]

وكذا تكلم عن تقديم المفعول لأجله ، " كقولك : رغبة في صلتك قصدتك وتكلم عن تقديم المستثني على المستثني منه كقولك : ما قام إلا زيد أحدا ويفلسف علة تقديم المستثني ، وذلك لمشابهته المفعول به والبدل"[٢].

ومرة أخرى يطل علينا بتحليله الديالكتيكى في أمر التقديم والتأخير ، وذلك في معرض حديثه عن جملة (عندك رجل) ، فهو يؤكد قبح الابتداء بالنكرة وأن النكرة وقعت موقع الخبر الذي بابه أن يكون نكرة، إذن حققت النكرة وإن كانت مبتدأ الشكل العام للخبر،

---

[٢] دلائل الإعجاز ص ١٠٦، وانظر الخصائص ٢٩٩/١ وهو يرى تقديم الحال على العامل كقوله تعالى " **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ** " القمر: ٧ حيث يفلسف الأمر ، فيرى تقديم الحال من باب تقديم خبر كان ، فقولك : قائما كان زيد ، والجامع بينهما النصب ٣٨٦/٢ بينما يعارض هذا الرأي د/ إبراهيم أنيس قائلا " إن تقدم الحال فوضى لا تقبلها لغة من اللغات، فضلا عن لغتنا العربية ، وقد تصفحت جميع الحالات المفردة في القرآن الكريم وهي خمسة عشر موضعا ، فلم أجد حالة واحدة فيها ذلك " من أسرار اللغة ص ٣١٧ – ٣١٨ ونقول له ما رأيك فى المثال السابق؟

[١] دلالات التركيب – د/ محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط سنة ١٩٧٩ م ص ٢٠٧ .

[٢] الخصائص ٣٨٤/٢.

والشكل العام للجملة الاسمية وبذلك لم تتأثر بالتقديم والتأخير الذي حافظ على الإطار العام لها دونما إخلال، فالجزء الأول في حكم المعرفة والجزء الثاني نكرة[٣].

وهذا أيضا هو عينه النوع الأول من نوعي التقديم والتأخير عند عبد القاهر ونفس الأمر عند ابن الأثير والزركشي [٤] ولم " يخرج عبد القاهر الجرجاني عن أوجه التقديم التي ذكرها الخليل وابن جنى ، بل يكرر ما ذكره الخليل ، وإن لم يورد لاسم الخليل ذكرا " [٥] ، لقد سلك ابن جنى طريقا " أكثر ثورية ، في علاجه لمسألة تقديم المفعول ، فقد افترض شيوع تقدم المفعول به في كلامهم إلى حد اعتباره أصلا قائما برأسه وتبعه عبد القاهر الجرجاني والسبكي " [١] .

---

[٣] انظر : المصدر نفسه ٣٠٠/١ .

[٤] انظر : المثل السائر لابن الأثير ٣٨/٢ والجامع الكبير ص ١٠٩ ، وكذا البرهان في علوم القرآن ٢٣٣/٣ ، لترى أن أثر ابن جنى في تقديم المفعول والخبر والظرف والحال والاستثناء ظاهر كل الظهور .

[٥] أثر النحاة ص ٦٠ ، وانظر دلائل الإعجاز ص ١٠٧.

[١] نظرية اللغة في النقد العربي ص ٣٤٣ – ٣٤٤ وانظر: دلائل الإعجاز ص ١٠٦ وما بعدها وعروس الأفراح ٩٨/١ – ٩٩.

المبحث الرابع

الذكر والحذف بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي

ويأتي عنده وينطوي وينضوي تحت ما أسماه (شجاعة العربية) لما فيه من تكسير للنظام الرتيب الممل من مكرور القول ، لذا كان الحذف ، وهو عند عبد القاهر " باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للافادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن " [١].

ويأتي الحذف على ضروب ، منها حذف الجملة والمفرد والحركة والحرف ويكون الحذف لعلة بلاغية ولدليل عليه، فلا يكون هكذا قمشا ولا هرجا ولا غفلا ساذجا من غير تأول أو تأويل وإلا كان "ضربا من تكليف علم الغيب في معرفته"[٢]. ومن حذف الجملة عنده جملة القسم ، وحذف الفعل والفاعل مثل قولك والله لأفعلن أي أقسم بالله، وكذلك الفعل والفاعل في الأمر والنهي والتخصيص نحو قولك: زيدا، إذا أردت: اضرب زيدا أو نحوه وإياك : إذا حذرته ، أي : احفظ نفسك ولا تضعها والطريق الطريق وكذلك جملة الشرط نحو قولك : الناس مجزيون بأفعالهم ، إن خيرا فخير و إن شرا فشر "[٣].

---

[١] دلائل الإعجاز ص ١٤٦وأنظر علم المعانى بين النظرية والتطبيق – د/ عبد الرازق أبو زيد – مكتبة الشباب– ط٢–١٩٨٧ص١٠٢ وما بعدها.

[٢] الخصائص ٣٦٢/٢.

[٣] المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

والحذف يكون وجوبا في فعل المشاهده ، نحو قولك إذا رأيت قادما: خير مقدم أي قدمت خير مقدم، فنابت الحال المشاهدة مناب الفعل الناصب [٤] وكأن المشاهدة هنا قامت مقام المحذوف وحذف الفعل والفاعل مرجعه مشابهتهما للمفرد ،لما كان الفاعل جزءا من الفعل، فصارا كأنهما كلمة واحدة، مثل حبذا زيد، تعملون الخير[١].

أضرب حذف الاسم : -

١ - **حذف المبتدأ :** نحو هل لك في كذا وكذا ، أي هل فيه حاجة أو أرب [٢].

٢ - **حذف الخبر** : كقولك في جواب من عندك ؟ زيد ، أي : زيد عندي [٣] وطول جملة جواب القسم قد يكون سببا لحذف الخبر، مثل قولك : لعمرك لأقومن ، التقدير لعمرك ما أقسم به لأقومن [٤] .

٣ -**حذف المضاف :** وهو واسع جدا ، ويقول إنه وجد في القرآن الحذف بصفة عامة نيفا علي ألف موضع وحذف المضاف بصفه خاصة ثلاثمائة موضع وفي الشعر ما لا أحصيه ، وذلك مثل قوله تعالي **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَة)** [٥] أي : أهل القرية ويعلل لحذف الخبر والمضاف فلسفيا وبلاغيا " حذف المضاف ضرب من الاتساع ، والخبر أولي من المبتدأ ، لأن الاتساع أولي

---

[٤] المصدر نفسه ١/٢٦٥.

[١] الخصائص ٢/٣٦٤.

[٢] المصدر نفسه الصفحة نفسها .

[٣] المصدر نفسه الصفحه نفسها .

[٤] المصدر نفسه ١/٣٩٤.

[٥] يوسف :٨٢.

بالأعجاز من الصدور ، فالمبتدأ كالصدر ، والخبر كالعجز" [٦] وقد يحذف المضاف مكررا ، أي مرتين ، نحو "قولك : أنت مني فرسخان ، أي : ذو مسافة فرسخان" [٧].

٤ -**حذف المضاف إليه :** وهو يحذف عنده لو كان معرفة ، فهو إذا متعين مخصوص معهود معروف نقيض النكرة ، فلا يحذف لأنه في هذه الحالة يتميز بالعموم والشمول ويصعب على الإنسان تقديره وقتذاك ، وهو أكثر من حذف المضاف ، لأنه كالخبر أشبه بالأعجاز، وأطراف الكلام أولى بالحذف من بداياته وصدوره، وذلك مثل قوله تعالى **"لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ"**[١] أي من قبل ذلك ، ومن بعد ذلك، ثم شبه الجار والمجرور هنا بالمضاف إليه ، لمعاقبة المضاف إليه إياهما[٢].

ويذكر بلاغة الذكر ، وذلك في معرض حديثه عن ذكر الصفة وأنها تأتي لعلل ونكت بلاغية متمثلة في : التخصيص والتلخيص ، والمدح والثناء ، وكذا الإسهاب والإطناب ، لا الإيجاز والاختصار .

---

[٦] الخصائص ٣٦٤/٢.

[٧] المصدر نفسه ٣٦٥/٢.

[١] الروم :٤.

[٢] الخصائص ٣٦٥/٢.

أما بلاغة حذف الصفة فتأتي : للاتساع وطلب الخفة والتطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ، "وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل" [٣] .

وقد يذكر المسند إليه للتفخيم والتعظيم " إنما يعاد لفظ الأول، المسند إليه في مواضع التعظيم والتفخيم وذلك في قوله تعالى **(الْقَارِعَةُ ◆ مَا الْقَارِعَةُ)** ، لأنه في مدحه وتعظيم أمره [٤].

البلاغة الصوتية والحذف : -

ومرة أخرى تطل علينا البلاغة الصوتية وأنها عوض عن الحذف وبديلا عنه، وقائمة مقامه وذلك في قولك : كان والله رجلا ! فمط ومد الصوت الأخير – اللام – قد أغناك عن القول إنه رجل فاضل شجاع كريم ، لقد حل الصوت محل جمل كاملة . وتأتي تلك البلاغة الصوتية عندما يتمكن الصوت ويقوى ويتسع به نطقك ويمتلئ به فوك وتفخمه ، وذلك في نطقه كلمة إنسان ، وذلك في قولك : سألناه فوجدناه إنسانا ! لقد أغنتك تلك البلاغة الصوتية عن قولك :

إنه إنسان سمح جواد أو نحو ذلك من الصفات المحمودة" [١] ، هكذا فعلت البلاغة الصوتية بل إن بلاغة القرآن الكريم " لتأتي من ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيما منوعا " [٢]

---

[٣] الخصائص ٣٧٢/٢ ، ٣٧٣ وانظر: الكتاب ٣١٥/١ وانظر أثر النحاة ص ٧٥ – ٧٦ حيث نسب الكلام كله لصاحب الكتاب سيبويه ، بما في ذلك الحديث عن البلاغة الصوتية ولكن ما ينسب لسيبويه ذكره ابن جنى نفسه من قوله (ليل طويل) أما عدا ذلك من بلاغة الأصوات فهي لابن جنى.

[٤] القارعة : ١، ٢ وانظر الخصائص ٥٦/٣.

وتتراءى لنا الحالة النفسية في الحذف من خلال تعبيرات الوجه وتغييراته كاشفة لنا عن مخبوء النفس وكوامنها وما يعتملها من ألم وتكدير وتنغيص وانزواء الوجه وتقطبه ، كل ذلك تنقله لنا البلاغة الصوتية فمط ومد وتطويل الصوت دليل المدح والثناء ، وقبض وحبس الصوت وقمشه والسكون والوقوف عليه دليل القدح والذم ، فالمدح يتيح للإنسان امتداد الصوت اللا نهائي ، وكأنه في زيادة هذه المساحة الصوتية يقول لك ، قل ما شئت ، فاتساع المسافة الصوتية أعطاك اتساعا في حرية المدح ، وفي هذا الضيق وفي تلك المساحة المحدودة أوحى لك بمدى الاشمئزاز والتأفف من هذا الشخص – بحيث لا يكاد يذكره "وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق ، قلت : سألناه وكان إنسانا وتزوى وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك ، إنسانا لئيما أو مبخلا أو نحو ذلك " [1] فكما أن البخل هو الإمساك عن الإنفاق فكذا، جاء البخل الصوتي في عدم الانبساط والاتساع وكذلك القرطاس والله تحذف كلمة أصاب وهي في حكم الملفوظ صوتا ولكن دلالة الحال نابت منابه [2].

هذا "الحديث العلمي يدل على وعي كامل من ابن جنى باعتبار المقام والمقال وفهم الباب النحوى فقد أضحى التنغيم وتعبيرات الوجه من دلائل فهم الباب النحوي وما كان لنا أن نفهم الصفة المحذوفة إلا بهما إن هذه الإشارة الذكية تكاد تكون في قوة القانون الذي كان له أن يراعي وأن يسجل فهل هناك آكد من ابن جنى؟!"[3].

---

[1] الخصائص ٣٧٣/٢.

[2] النبأ العظيم د/ عبدالله دراز – مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٨٥ م ص ٥٩ – ٩٦.

[1] الخصائص ٣٧٣/٢.

[2] المصدر نفسه ٣٨٥/١ – ٣٨٦.

[3] من وظائف الصوت اللغوي د/ أحمد كشك ص ٥٨ .

شروط الحذف بصفة عامة وحذف الموصوف خاصة :

وابن جنى لا يترك شيئا إلا قننه وحدده، فالحذف لا يأتي هكذا اعتباطا، بل يكون إذا دل عليه دليل ودل عليه الحال، ولا سيما حذف الموصوف، لأن ذلك إلباس وتعمية وإبهام وكل ذلك ضد البيان، ويستشهد على ذلك بقوله "ألا ترى أنك إذا قلت: مررت بطويل، لم يستبن من ظاهر هذا اللفظ أن الممرور به إنسان دون رمح أو ثوب، أو نحو ذلك ، بل إن الموصوف كلما كان أكثر استبهاما وإغلاقا للفهم ، كلما كان حذفه غير لائق بالحديث " [٤] ، بل إن هناك ما يمنع منعا باتا حذف الموصوف ، لا سيما لو كانت الصفة جملة" نحو مررتبرجل قام أخوه ولقيت غلاما وجهه حسن ألا تراك لو قلت: مررت بقام أخوه أو لقيت وجهه حسن لم يجز"[١]

ويأتي بالنزر اليسير على حذف الموصوف ، وذلك في قوله تعالى " **وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ** " أي قوم دون ذلك [٢] وقد عد الزجاج حذف الموصوف من جملة الفصاحة والبلاغة أما عدا ذلك من حذف الصفة أو الموصوف لعدم وجود ما ينبىء عن ذلك ، فهو " من لغو الحديث وجور في التكليف " [٣] .

---

[٤] المصدر نفسه الصفحة نفسها .

[١] الخصائص٢/٣٦٨.

[٢] الجن : ١ .

[٣] انظر: الخصائص ٢/٣٧٣.

حذف المفعول به : -

وذلك في قوله تعالى " **وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** " [٤] أي : أوتيت منه شيئا وقد يحذف المفعولان معا وذلك في قوله تعالى " **فَغَشّاهَا مَا غَشّى** " [٥] أي غشاها إياها

حذف المعطوف والمعطوف عليه : -

وقد يحذف المعطوف ، في قولك : راكب الناقة طليحان ، فالتقدير : راكب الناقة والناقة طليحان ويرجع حذف المعطوف **لسببين** :-

أحدهما ذكر الناقة ، والشيء إذا تقدم ذكره دل على ما هو مثله ، الآخر أن الحذف اتساع ، والاتساع أولى بالأعجاز ، المعطوف يكون بذلك أولى [٦] وحذف مفعول الصلة كقولك : الذي ضربت وزيدا جعفر ترید الذي ضربته وزيدا ، وحذف المستثني نحو قولك : جاءني زيد ليس إلا ، وليس: غير أي : ليس إلا إياه وليس غيره [١] ويتكلم عن حذف مفعولي ظننت وحذف المنادى ، وحذف خبر كان، وهكذا .

(التمييز) بين الذكر والحذف : -

يوضح أن حذف (التمييز) يكون للإلغاز والتعمية وحذف جانب البيان ويكون أيضا للاستبهام ، وذلك إذا لم يعلم غرض المتكلم ، ولم يدل عليه دليل ، إما ذكره

---

[٤] النمل : ٢٣، انظر : إعراب القرآن للزجاج ٢٨٦/١

[٥] النجم : ٥٤، وانظر الخصائص ٣٧٤/٢.

[٦] انظر: الخصائص ٣٧٥/٢ .

[١] انظر: الخصائص ٣٧٥/٢ .

فيكون للإبانة والتوضيح والبيان وكلاهما نقيض وذلك نحو قولك عندي عشرون ، واشتريت ثلاثين [٢] .

الحال بين الذكر والحذف: -

ولا يجوز حذف الحال عنده – ويفلسف ذلك بقوله إن الحال غرضها التوكيد ، والحذف هنا ضد الغرض ونقيضه ، ولكن بوجود القرينة الدالة عليه جاز الحذف وذلك في قوله تعالى **(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)**[٣] أي : فمن شهده صحيحا بالغا[٤] وسر حذف الحال وبلاغة الحذف هنا للتخفيف [٥].

المصدر بين الذكر والحذف : -

ولا يسوغ حذف المصدر ، وذلك لو جاء للتوكيد لأن المؤكد لا يجوز حذفه أما سوى ذلك فجائز فذكر المصدر للتوكيد وحذفه فيما خلا ذلك، أي إذا أردت الإخبار فقط ، فقولك انطلق زيد ، ولا تريد تأكيد هذا الانطلاق أو وصفه، فأردت الإخبار بانطلاقه دون غيره [١].

---

[٢] انظر: المصدر نفسه ٣٨٠/٢ وهو نفس الشرط عند سيبويه علم المخاطب انظر الكتاب ٣٧٥/١.

[٣] البقرة :١٨٥.

[٤] الخصائص ٣٨٠/٢.

[٥] المصدر نفسه ٣٨١/٢.

[١] الكتاب ١٤٤/٢ .

الحرف بين الذكر والحذف: -

بلاغة ذكر الحرف تتمثل في الإيجاز والاختصار والتوكيد ، بل التناهي فيه والوصول للغاية، أما حذفه فهو إجحاف وانتهاك، لأن اختصار المختصر لا يجوز ونقض لذكره ولكن حذف الحرف عند سيبويه أكثر من أن يعد ويحصى ومدار الأمر عنده هو للتخفيف أي الاختصار[٢] وهو كذلك عند الشريف الرضي على أن المبرد يقف موقفا متذبذبا من ذلك، فهو لا يجيز حذف الواو عند سيبويه وابن جنى في قولك: الله لا أفعل يريد والله لا أفعل، ثم يعود عن هذا الرأي ليؤكد أن حذف الحرف فصيح " واعلم أن من العرب من يقول "والله لا أفعل" ، يريد الواو فيحذفها، وليس هذا بجيد في الإيجاز ولا معروف اللغة ، وليس بجائز عندي"[٣] ثم يعود ليناقض ذلك قائلا " إن حذف الحرف فصيح في لغة العرب"[٤].

وأمثلة حذف الحرف عند ابن جنى معروفة مثل أمرتك الخير أي أمرتك بالخير استغفر الله ذنبا أي من ذنب ، خير عافاك أي : بخير عافاك [٥] .

والفصاحة تكمن " في الحذف ولا تتم إلا به أما إذا كان الكلام تاما فلا فصاحة"[٥].

ويتجلى الجمال والروعة في الكلام إذا أنت " حذفت أحد ركني الجملة أو شيئا من متعلقاتها " [١] والحذف غرض بلاغي لابد منه بحيث إن " العدول عنه يكون إفسادا " [٢] ولا يكون الحذف من أجل الحذف ، بل لعلة بلاغية [٣].

---

[٢] المصدر نفسه الصفحة نفسها .

[٣] المقتضب ٢/٢٧٥.

[٤] الكامل ١/٢١ ، وانظر أثر النحاة صفحة ٧٣ الكتاب ٢/١٤٤ .

[٥] الخصائص ١/٢٨٩ ، ٢/٢٨٣ .

[٥] الكتاب ١/٢٧٩.

ابن جنى يسبق أئمة البلاغيين ويتفوق عليهم فى بلاغة الحذف : -

والواقع أن كل ما قيل في الحذف هو اتكاء على ما قاله وأقره ابن جنى لقد كان سر الحذف وبلاغته عند سيبويه لا يعدو التخفيف والاختصار ، أما عند ابن جنى فقد جاوز ذلك، فهو للتخفيف والاختصار والمدح والثناء والذم والاتساع وغير ذلك من الأمور التي لا يرقى لها أحد حتى عبد القاهر نفسه لم يذكر السر البلاغي للحذف ، **إن** ذكره في أكثر من موضع ليدل على الشياع والعموم ، مثل قوله"إن فيه من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبل، مالا يخفي موضعه على بصير" [٤] ولم يقف ولم يتتبع سر حذف كل جزء من أجزاء العربية، تماما مثلما فعل ابن جنى ، بل الأدهى من ذلك أنه لم يستوف في حديثه الحذف بأكمله ولم يأت عليه ، إنما ركز في حديثه على حذف المفعول به ، المبتدأ ، الخبر فهو في ذلك معتد بأستاذه سيبويه ، تماما كما فعل في التقديم والتأخير ، لم يحاول تطوير فكرة وبلاغته ، إنه ناقل عن سيبويه وحسبه ذلك ، فكما أن المدار عنده في الحذف الفخامة والنبل ، فهو أيضا الحسن " فقد أراك في هذا كله أن الخبر محذوف ، وقد ترى حسن الكلام وصحته مع حذفه وترك النطق به " [١] هكذا دونما تخصيص هذا الحسن وتقييده بل لم يشر إلى حذف الحال والمصدر والتمييز .. إلى غير ذلك من تراكيب الكلام " إن عبد القاهر الجرجاني لم يعلل أسباب الحذف في كثير من الأحايين ، وعلل الحذف عنده تبدو منقوصة يشوبها شائب " [٢].

---

[١] علوم البلاغة للمراغي ص ٩٢ .

[٢] البلاغة والأسلوبية – د/ محمد عبد المطلب – الشركة المصرية العالمية للنشر ط ١٩٩٤م ص ٣١٧.

[٣] من أسرار البلاغة د/محمد السيد شيخون – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – ط سنة ١٩٨٤ ص ٨٧.

[٤] دلائل الإعجاز ص ١٧٠.

[١] دلائل الإعجاز ص ١٧٠.

[٢] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز – لفخر الدين الرازي – مكتبة الآداب – القاهرة سنة ١٣١٧ هـ صفحة ١٤٣

المبحث الخامس

التعريف والتنكير بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي

لا شك أن الأصل هو النكرة ولما كثرت الأشياء وتعددت المسميات كانت المعرفة للتخصيص والتحديد والتمييز بدلا من التعميم والتعمية ، والواقع أن ابن جنى قد تكلم في هذا المبحث كلاما غير مسبوق وقتئذ .

طرق التعريف عند ابن جنى : -

١ - التعريف بالإضمار : -

وذلك "نحو قولك: هذه جارية بنتها فهذا التعريف الذي استقر في الجارية ، إنما أتاها من قبل ضميرها وضميرها هو " هي " [١] فالجملة السابقة اشتملت على طريقتين من طرق التعريف : الإضمار والإشارة وإن كان الكلام مركزا على الضمير والضمير من " أدوات التعريف " فالفعل موغلا في التنكير والاسم المضمر متناه في التعريف " [٢] ، فالضمير عنده قد بلغ الغاية في التعريف ، هذا ما يراه ابن جنى وما ارتآه بعده وقبله البلاغيون ، ولكننا ما نلبث أن نرى نقيض هذا عند بعض المحدثين " وهذه الضمائر في مجملها لا يمكن وصفها بالتعريف أو التنكير في النظام وإنما تكون معرفة حين تكون ترتبط بالسياق وتعين على ذلك القرائن ، كالحضور بالنسبة للمتكلم والغائب ،

---

[١] الخصائص ٣/٢٨.

[٢] المصدر نفسه ١/١٠٤.

والمرجع بالنسبة للغائب" [٣] فالضمائر على زعم القول السابق تجمع بين التعريف والتنكير في المجمل العام ولكن السياق الذي يقيدها .

أغراض التعريف بالإضمار بلاغيا : -

١- إذا كان المقام مقام غيبة وخطاب مثل : إياه ، وإياك وأنت [١] والخطاب قد يقصد فرد معين، كالسابق وقد يقصد غير معين ، ويكون غرضه العموم .

٢- إذا كان المقام مقام غيبة وحضور " متكلم " ، ونحو ذلك " ما رآه أبو الحسن في أن الهاء والياء في (إياه) و (إياي) حرفان ، أحدهما للغيبة وهو الهاء والآخر للحضور – المتكلم – وهو الياء " [٢]

٣- إذا كان المقام مقام خطاب مثل " أنت ، إياك ، ذلك أن الكاف حرف للخطاب في إياك " [٣] والضمائر عنده توابع للأسماء المظهرة فالأسماء الأول والضمائر ثوان لها وذلك لأنها " لم تقو قوتها لسبقها"[٤] ولكن الضمائر هي الأصل من حيث البناء والأسماء هي الفرع في ذلك ، بينا من حيث الإعراب الضد هو الصحيح ومن حيث الإضافة ، الضمائر هي الأصل وذلك لمشابهتها التنوين ، والأسماء هي الفروع[٥].

---

[٣] اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – سنة ١٩٧٩ م ص ١١٠.

[١] الخصائص ١٩١/٢.

[٢] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[٣] المصدر نفسه ١٩٢/٢ ، انظر الإيضاح ص ٣٤.

[٤] المصدر نفسه ١٩٤/٢.

[٥] انظر : المصدر نفسه ٣٥٨/٢.

بلاغة الضمائر المتصلة عند ابن جنى : -

وما يزال يرى بلاغة الضمائر في الخفة والاختصار والإيجاز ، لذا نراه يفضل الضمائر المتصلة عن الضمائر المنفصلة ، ليس إلا لأنها كالحرف ، فهي كالجزء من الكلمة والضمائر المنفصلة انفصالها كالاسم المظهر ، ويعلل سبب إيثار العرب للضمير المتصل على الضمير المنفصل تعليلا نفسيا بعدما علله منطقيا وعقليلا قائلا " ولما كان الضمير المتصل أضعف من المنفصل ، فإنه أكثر وأسير و أسبق في الاستعمال وأخف عليهم وآثر في أنفسهم ، وقد رغب في الأسماء المضمرة وفزع إليها طلبا للخفة بعد زوال الشك بمكانها " [1] .

فالكلام السابق حمل علة الضمير المتصل بوجهيه: العقلي المنطقي ، المتمثل في الخفة والهروب من الاستثقال واحتمال مالا يطاق ، وكذا الوجهة النفسية حيث كد النفس ووصبها من السآمة والملل والطول والاستطالة من الضمائر المنفصلة التي تحتاج نفسا إلى نفس وصوتا إلى صوت ، بينما الضمائر المتصلة تنطق مع الكلمة صوتا ونفسا واحدا لا غير ، وسوى ذلك فإنه يؤدي إلى تكلف وتعنت يؤذيان النفس والسمع فبدلا من إعادة الكلمة بحروفها التي قد تزيد عن الخمسة مما يبعث على الخمول والخمود واستبطاء النفس وتثبيط الهمم لما يقال ، كان من الضروري المحتم اللجوء إلى المتصل للقضاء على كل ذلك " فوجه الاستخفاف فلأنك إذا قلت العبيثران شممته ، فجعلت موضع تسعة حروف واحدا ، كان الضمير هنا أفضل من أن تعيد التسعة كلها فتقول العبيثران شممته العبيثران، نعم وينضاف إلى الطول، قبح

---

[1] الخصائص ١٩٥/٢.

التكرار المملول وكذلك ما تحته من العدد الثماني والسباعي ، فما تحتهما هو على كل حال أكثر من الواحد [٢].

ابن جنى يفضل وضع المضمر موضع المظهر

ويعلل سبب ذلك بقوله أما الإلباس فإنك إذا قلت : زيد ضربت زيداً لم تأمن أن، يظن أن زيدا الثاني غير الأول ، أما إذا قلت: زيد ضربته ، فقطعت بالضمير سبب الإشكال ووقع الضرب بزيد المذكور لا محالة وزال تعلق الفكر لأجله وسببه"[١] إن الجانب الفكري قد تبدى بوضوح في الكلام السابق إذ إنه لولا الإلباس والتعمية والغموض الذي قد يتراءى من تكرار الاسم المظهر والظن بأنه غير الأول لجيء به فالإتيان بالضمير قد منع كل ذلك وحجبه، حتى لا يذهب الفكر كل مذهب ويتعلق بوهم وظن كاذب خاطئ وما يستصحب ذلك من حيرة نفسية وقلق ذهني فأمن اللبس وزوال الشك وجهان لعملة واحدة أتُى بهما لبلاغة الضمير .

ابن جنى يضع المنفصل موضع المتصل والعكس: -

فابن جنى يقرر أن البلاغيين يحلون المنفصل محل المتصل ، كقول الشاعر :

إليك حتى بلغت إياكا

أي : بلغتك ، فاستعمل (إياك) موضع الكاف

ويحلون المتصل محل المنفصل ، كقول الشاعر :

---

[٢] المصدر نفسه الصفحة نفسها .

[١] الخصائص ١٩٥/٢ وسيبويه لا يستحسن وضع المضمر وضع المظهر في كل الأحوال والمعول على ذلك اللبس وعدمه ، انظر الكتاب ٣٠/١ ، وأثر النحاة ص ١١٠ حيث لا يرى د/ عبد القادر حسين غضاضة من وضع المضمر وضع المظهر .

فما نبالي إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ديار

فاستعمل الكاف في إلاك موضع إلا إياك [٢].

وقد تصفحت الدلائل لعبد القاهر الجرجاني ، ووجدته خلوا من الحديث عن بلاغة الضمائر، لا حديثا مقتضبا ولا مسهبا ، وكل ما هنالك هو الحديث عن ضمير الشأن، شريطة التفسير .

٢ - التعريف بالعلمية : -

ويقسمها شطرين : عين ومعنى ، فالعين : الجوهر وهو الاسم نفسه كزيد وعمرو، والمعنى : العرض أو الصفة" [١].

الأعلام عند ابن جنى بين الوصف وعدمه : -

والأعلام لا توصف ، هكذا على الشياع لأنها وضعت لتغني عن الأوصاف الكثيرة ، فإنك إن قلت الحسن ، فقد استغنيت بقولك : الرجل الفقيه القاضي العالم الزاهد البصري، فالعلم لا يوصف : إذا لم يشترك معه فى العلمية شريك وأمن اللبس، والعلم يوصف إذا اشترك معه في العلمية شريك وشريك ولم يؤمن اللبس فإنك إذا قلت الفرزدق ، لا يوصف ، كذلك إذا قلت التميمي ، لا يوصف ، لأنه لم يسم به أحد غيره ، أما إذا قلت : همام فجاز الوصف لأنه شورك فيه فجاز الوصف ، لعدم اللبس [٢].

---

[٢] انظر: الخصائص ١٩٦/٢.

[١] الخصائص ٣٤/٣.

[٢] انظر المصدر نفسه ٢٤٢/٣، ٢٧٣ وهذا باب (الامتناع من نقض الغرض)، باب (في نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها) .

العلم عند ابن جنى يحمل معنى الصفة والفعلية : -

والعلم عنده اسم على مسمى ، فمثلا أبو المنهال ، معناه هذا الغناء والنجدة ، فإذا ذكر ، ذكر معه ذلك يقول الشاعر :-

أنا أبو المنهال بعض الأحيان ليس على حسبي بضؤ لان

أي "أنا مثل أبي المنهال ، أي أشبه أبا المنهال ، وقد عرف عنه هذا الغناء والنجدة فكأنه قال ، أنا المغني في بعض الأحيان ، أو أنا النجد في بعض الأوقات" [١]

وكذلك قوله :

أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمه الفاخر

فسبحان : اسم علم ، ومعناه البراءة والتنزيه ، بمنزلة عثمان " [٢].

بلاغة تصغير العلم : -

والعلم قد يصغر للتحقير ، نحو تصغير أسد : أسيد [٣].

الأعداد من الأعلام : -

وذلك كقولك " ثلاثة نصف ستة ، وثمانية ضعف أربعة وذلك لو قدرت العدد لا نفس المعدود " [٤]

الأعلام المعلقة على المعاني : -

---

[١] الخصائص ٣/٢٧٤.

[٢] المصدر نفسه ٢/١٩٩.

[٣] انظر المصدر نفسه ١/١٥٧.

[٤] المصدر نفسه ٢/٢٠٠.

من باب المثل المقابل بها الممثلات ، ومعنى ذلك كل ما هو على وزن لم ينصرف ، فمثاله المقابل له لا ينصرف أيضا فهو علم لأن رأس الباب في عدم التصرف ، هو العلمية ، فمثلا كل ما جاء على وزن (فعلاء) لا يتصرف ، مثل حمراء ، سوداء ، خضراء ، كذا بالمثل مذكر فعلاء وهو أفعل لا يتصرف ، مثل أحمد، أسعد، هكذا، وكذا أيضا، على وزن (فعلان) لا يتصرف ، كقولك: حمدان قحطان ، عثمان والمماثل له فعل لا يتصرف ، مثل ليلى ، وهكذا [١] .

ابن جنى يعلل سبب كثرة الأعلام في الأعيان وقلتها في المعاني : -

ومرة أخرى يطل علينا بفسلفته الفكرية المنطقية ، حيث يؤكد على كثرة الأعلام في الأعيان لأنها أظهر للعيان وأكثر تجسيما وتجسيدا وأوضح رؤية ومشاهدة فهي تتفق بذلك مع العلمية، بينما نقيض ذلك الأعيان لا ترى ولا تشاهد حسا وإنما تدرك بالاستدلال والتفكير، فليس المشاهد كالمتخيل [٢].

ابن جنى يرى أن الاسماء قد تكون معرفة ونكرة في آن : -

وذلك مثل غدوة بمعنى غداة ، إلا أن غدوة معرفة ، وغداة نكرة ، وكذلك أسد وأسامة ، وثعلب وثعالة وذئب وذؤالة فقد تجد التعريف المساوي لمعنى التنكير فاشيا في غير ما ذكرت ، ثم لم يمنع ذلك أن تعد أسامة وثعالة وذؤالة من الأعلام ، وذلك بتعريف معنياتها النكرات فتقول : فرقت ذلك الأسد الذي فرقته ، وتبركت بالثعلب الذي تبركت به ،هكذا [٣].

---

[١] الخصائص ٢/٢٠١.

[٢] المصدر نفسه ٢/٢٠٢.

[٣] المصدر نفسه ٢/٣٠٢.

فالتنكير – هنا – مضاه للتعريف ، ولكن ليس ذلك على الإطلاق والشياع ولكنما في العلم ومعناه .

الأعلام عند ابن جنى ليست أسماء فقط : -

والأعلام قد تكون بالصيغة ، فتترقى إلى مرتبة العلمية " فإن قلت فهل في بنت وأخت علم تأنيث أولا؟ ، قيل : بل فيهما علم تأنيث ، فإن قيل : وما ذاك العلم ؟ قيل الصيغة فيهما علامة تأنيثهما " [١].

وإذا كان أغراض التعريف بالعلمية تتلخص في : التعظيم أو التبرك بذكر العلم أو التفاؤل به وربما التشاؤم وكذا التلذذ بذكره [٢] إذا كان هذا كذلك، فإن شيئا من ذلك قد ذكره ابن جنى ، وذلك في قول الشاعر:-

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصرّ وتحلب

ألا ترى أن (شاب قرناها تصر وتحلب) اسم علم ، وفيه معنى الذم [٣]

ابن جنى يفرق بين العلم والضمير : -

وذلك لأن العلم تام لا يحتاج لتفسير نحو قولك : إذا زيد قام أكرمتك ، أما الضمير فهو محتاج إلى تفسير نحو قوله تعالى **" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد "** [٤] فقوله، الله أحد تفسير للضمير هو، فالضمير ناقص غير تام ويأتي شريطة التفسير " [٥].

---

[١] الخصائص ٢٠٢/١.

[٢] انظر: الإيضاح ص ٣٥ ، جواهر البلاغة ص ١٠٣.

[٣] الخصائص ٣٦٩/٢ .

[٤] الإخلاص :١.

[٥] الخصائص ١٠٦/١ وانظر الإيضاح صفحة ٣١٧ تجد ذات الكلام.

الأعلام عند ابن جنى تنون : -

فابن جنى يجيز تنوين الأعلام ، كزيد وبكر ويأتي تعليله المنطقي دافعا لكل دهشة واستغراب حيث يقول " ألا ترى أن هذه الأعلام معرفة معنويا لا لفظيا لأنها ضارعت وشابهت بألفاظها النكرات ، لأنه لا لام تعريف فيها ولا إضافة"[٦] فهو يريد القول إنها كالنكرات – وإن كانت أعلاما – لأنها خالية من أدوات التعريف كاللام ، كما إنها لا يصح إضافتها ، فلم لا تنون ؟!

وسياق التعريف بالعلمية " يرتبط أساسا بقصد المتكلم ، من حيث يريد بالعلم إحضاره في ذهن السامع باسم يختص به بحيث لا يطلق على غيره باعتبار وضعه لهذه الذات المعينة ابتداء " [١].

٣ - التعريف باللام وأنواعها : -

مثل الأحسن والأفضل ، ويفرق بين (اللام) ، (من) ، حيث (من) تفيد التخصص ، ولذلك لا تأتي مع المعرف باللام ، لأن اللام في الأحسن والأفضل تفيد الاستيعاب والاستغراق ، فكرهوا أن يتراجعوا بعدما حكموا به من قوة التعريف إلى الاعتراف بضعفه ، وهو إلحاق (من) باللام ، و(من) عندهم بمثابة (تاء) الخطاب ، كقولك "لست فيهم بالكثير مالا ، أي : لست من بينهم وفي جملتهم بهذه الصفة" [٢] هذا لعمري ما ألفته عند أحد من قبله.

---

[٦] المصدر نفسه ٢٤٣/٣.

[١] البلاغة والأسلوبية ص ٣٤٥.

[٢] الخصائص ٢٣٧/٣.

وعلى هذا فأنواع اللام هي : -

أ -لام الاستغراق : -

وهي التي تفيد الاستيعاب والشمول"[٣] وهي عند الخطيب القزويني بذات التعريف "حيث يراد بمدخولها جميع الأفراد"[٤]، والاستغراق هذا مصطلح منطقي داخل وآكد فيه ، ومعناه " شمول الحكم في القضية أي في الجملة الخبرية التي تحتمل الصدق والكذب " [١] فابن جنى يربط بين البلاغة والمنطق ، أو اللغة في شكلها العام والمنطق ربطا محكما ، وليس كما يدعي **د/ابراهيم أنيس** من أن العلاقة بين اللغة والمنطق منبتة الصلة ، كيف ذلك ، وقد أكد **د/محمود فهمي زيدان** على قوة العلاقة بين هذه وذاك ، وأن **العلاقة تتبدي في جانبين هما:-**

١- المنطق يدرس التفكير الإنساني واللغة وسيلة هذا التعبير، حتى التفكير الصامت يدور في شكل جمل وعبارات وألفاظ ، وألفاظ اللغة ليست ذات معنى إن لم تعبر عن فكر معين، لذا يقال إن (اللغة فكر منطوق والفكر لغة غير منطوقة)، حتى تعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق يتساوى مع تعريفه بأنه حيوان مفكر .

---

[٣] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٤] الإيضاح ص ٤٣.

[١] المنطق الصوري الرياضي د/ عبد الرحمن بدوي – النهضة المصرية سنة ١٩٧٧ م ص ٣٩ وانظر المنطق الصوري – د/سامي النشار – دار المعارف سنة ١٩٧٢ م ص ٥٤.

٢- أهم مباحث المنطق الاستدلال ، والاستدلال هو الانتقال من المعلوم إلى المجهول وذلك في شكل ألفاظ وجمل " [٢] **والاستدلال بتعريفه هذا هو عينه عند ابن جنى** ، إذ يقول " إنما يستدل بالمعلوم على المجهول"[٣] .

٣- ثمة علاقة قوية بين النحو والمنطق ، كما يؤكد على ذلك المفكر الإسلامي أبو حيان التوحيدي "النحو منطق لغوي والمنطق نحو عقلي " [٤].

---

[٢] المنطق في اللغة – د/ محمود فهمي زيدان – بيروت سنة ١٩٩٧ صفحة ٣٧ ويذهب د/ إبراهيم أنيس هذا المذهب ، إذ يرى أن نفي النفي في المنطق إثبات بينما نفي النفي في اللغة تأكيد ، ونسى أو تناسى أن ابن جنى قد أكد على تلك المقولة المنطقية في الخصائص ٤٦٦/٢ " نفي النفي عائد به إلى الإثبات " وانظر : أسرار اللغة ص ١٦٣.

[٣] الخصائص ٣٥٩/٢.

[٤] الإمتاع والمؤانسة – أبو حيان التوحيدي – بيروت ١٩٦٩ م ص ٢٤.

ابن جنى أكثر دقة من عبد القاهر في تعريف الاستغراق والاستدلال: -

فابن جنى قد عرف آنفا الاستغراق بأنه شمول الأفراد ، وعبد القاهر لم يعرفه وإنما ذكره لفظا حين تناول قول القائل (أنت الشجاع)، أي إنه استغرق الشجاعات كما أنه مل من تكرار (الاستدلال)، ولم يعرفه[١].

ب - لام الحقيقة أو لام الجنس: -

وذلك عندما يتناول اللام في قولهم (الآن حد الزمانين) ، فهذا بمنزلة (الرجل أفضل من المرأة) ، الملك (أفضل من الإنسان) ، أي هذا الجنس أفضل من هذا الجنس [٢].

وهي عند عبد القاهر ذاتها " اعلم أنك تجد الألف واللام في الخبر على معنى الجنس [٣].

جـ - لام العهد الذهني: -

وذلك عندما يتناول الآية القرآنية " **قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِ** " [٤].

أي " كنت الآن عنده ، وسمعت الآن كلامه " فمعنى هذا : كنت في هذا الوقت الحاضر بعضه وقد تصرمت أجزاء منه [٥] .

ولكنني تصفحت واستقرأت دلائل الإعجاز ، فلم أجد لهذه اللام ذكرا .

---

[١] انظر : دلائل الإعجاز ص ١٩٧.

[٢] الخصائص ٣٩٦/١ ، وانظر الإيضاح ص ٤٢.

[٣] دلائل الإعجاز ص ١٧٩.

[٤] البقرة : ٧١.

[٥] الخصائص ٣٩٦/١.

د - اللام المقدرة واللام الزائدة للتوكيد : -

يعلق على قول الشاعر :-

وإني وقفتُ اليوم والأمس قبله ببابك حتى كادتْ الشمسُ تغربُ

فاللام في أمس زائدة ، زيادتها في الذي والتي ، للتوكيد ، وإن كان الظرف (أمس) معرفا بلام مقدرة [١].

ويسير عبد القاهر في تعريف ذات الظرف (أمس) ، فيقول : (فقولنا : هذا الذي كان عندك بالأمس، غير قولنا (هذا الذي كان عندك أمس) ، فاللام في الأولى تفيد التعيين (بمعنى التأكيد) ، بينما في الثانية تفيد الشك والظن فلا يعلم أنه ذاك ويظنه إنسانا غيره ، وأعتقد أنه بتعريفه للام الثانية قريب من لام العهد الذهني (المبهمة) بعض الشيء [٢].

٤ - التعريف بالاسم الموصول عند ابن جنى : -

ولا سيما (الذي) فهو " يصف المعرفة بالجملة ، كقولك مررت بزيد الذي قام أخوه " [٣] وقد أغار عبد القاهر على ذات المعنى ونسبه لنفسه ، دونما إشارة لابن

---

[١] انظر : الخصائص ٣٩٥/١ ، ٦٠/٣.

[٢] انظر :دلائل الإعجاز ص ٢٠١.

[٣] الخصائص ٣٢٢/١.

جنى حيث يقول " فالذي لوصف المعارف بالجمل " [٤] وسياق التعريف بالموصوليه برتبط أساسا بالمخاطب [٥] .

٥ - التعريف بالنداء : -

والمنادى المفرد معرفة ، ألا ترى " أن أصله أن يعرب ، فلما دخله شبه الحرف – أداة النداء – لوقوعه موقع المضمر بني " [٦] فهو يقر بأن المنادى المفرد من المعارف ، وهو كالمضمر ، في التعريف والبناء وهنا ملاحظة يجب تسجيلها وهي أن سفر أثر النحاة يخلو تماما من أي أثر للنداء ، بل يكاد يخلو من هذا الحديث تماما – التعريف – خلا حديثه عن الضمائر .

٦ - التعريف بالإشارة : -

ومن المعارف أسماء الإشارة ، كقولهم : هذان وهاتان وهؤلاء وذانك وهي تجري مثناة ومجموعة أوصافا على المعارف – مثل هما وهم وهن واللذان واللتان واللذون والذين – كما تجري مفردة ، كقولك مررت بالزيدين هذين ، وقد توصف أيضا بالمعارف ، نحو قولك جاءني ذانك الغلامان، هذان قائمين الزيدان– هؤلاء منطلقين إخوتك [١] .

---

[٤] دلائل الإعجاز ص ١٩٩.

[٥] انظر : البلاغة والأسلوبية حيث يتناول المؤلف نفس التعريف " الذي كان معنا بالأمس " ص ٣٤٥ ، ويذكر بلاغة التعريف بالموصولية من تنبيه ، ومدح وذم ص ٣٤٥ ، وقد يكون للتعظيم، انظر مفتاح العلوم ص ١٨٢.

[٦] الخصائص ١/١٧٠.

[١] الخصائص ٢/٢٩٩.

٧ -التعريف بالإضافة : -

ويتكلم عن الإضافة كطريق من طرق التعريف حيث يقول " والشيء إنما يعرفه غيره ، لأنه لو كانت نفسه تعرفه ، لما احتاج أبدا أن يعرف بغيره ، لأن نفسه في حالي تعريفه وتنكيره واحدة وموجودة غير مفتقدة " [٢] .

ابن جنى يضع شروطا للتعريف بالإضافة : -

١- ألا يعرف بنفسه ، إنما يعرف بغيره .

٢- أن يختلف المضاف عن المضاف إليه، فلا يضاف الشيء إلى نفسه .

٣- التوكيد المعنوي ليس هو عينه المؤكد، فعندما تقول : مررت بزيد نفسه فالنفس هنا بمعنى خالص الشيء وحقيقته، والعرب " تحل نفس الشيء محل البعض من الكل"[١] فهو يريد القول إن التوكيد المعنوي (بنفسه) – جزء من المؤكد.

٤- أن يضيف التعريف بالإضافة شيئا جديدا ، ويستفاد من إضافته تلك ، لذلك لم يجيزوا (زيدا أفضل إخوته) لأنه واحد منهم [٢].

٥- أن يكون المضاف من جنس المضاف إليه ، فلا يصح القول : زيد أفضل الحمير [٣].

---

[٢] المصدر نفسه ٣/٢٦.

[١] الخصائص ٣/٢٦ – ٢٧.

[٢] انظر: المصدر نفسه ٣/٣٣٦.

[٣] المصدر نفسه ٣/٣٣٦.

أنواع الإضافة عند ابن جنى : -

١- ضم الاسم إلى اسم هو غيره بمعنى اللام فعلى ذلك تكون الإضافة متضمنة معنى اللام – مثل " غلام زيد ، أي غلام لزيد " [٤] .

٢- ضم اسم إلى اسم هو بعضه بمعنى (من) نحو قولك : هذا ثوب خز ، أي هذا ثوب من خز" [٥].

٣- إضافة المسمى إلى الاسم مثل: ذو آل حسام، ذو: المسمى، آل حسان: الاسم أي " الجمع المسمى بهذا الاسم هو آل حسان " [٦] .

٤- إضافة الاسم إلى المسمى مثل : " باسم الماء واسم السلام " [٧].

٥- قد يكون الشيء الواحد على وجه اسما ، وعلى آخر مسمى ، مثل قولك: ما هجاء سيف ؟ فتقول : س ي ف : سيف هنا : اسم لا مسمى ، أي ما هجاء هذه الأصوات المقطعة؟ وتقول: ضربت بالسيف، فالسيف هنا جوهر الحديد الذي ضرب به، هو هنا مسمى" [١] .

---

[٤] المصدر نفسه ٢٨/٣.

[٥] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٦] المصدر نفسه ٢٩/٣.

[٧] المصدر نفسه ٣٣/٣.

[١] الخصائص ٣٣/٣ .

بلاغة الاضافة عند ابن جنى : -

وتتمثل في التعريق والتخصيص [٢] .

والواقع الذي لا مراء فيه ولا جدال فيه أن ابن جنى قد أتى في هذا النوع من التعريف بأشياء طريفة كل الطرافة ، من حيث ذكره لشروط التعريف بالإضافة وكذا ذكره لأنواع الإضافة واستخدامه الأسلوب المنطقي التحليلي في تبيان ما استقر عليه وما آل إليه، أضف إلى ذلك بلاغة الإضافة ، أشياء ما وجدناها عند عبد القاهر واضع علمي المعاني والبيان .

ابن جنى يفرق بين التعريف والتنكير بعدة طرق منها : -

١- اللام للتعريف، والتنوين من دلائل التنكير .

٢- التنكير أسبق رتبة من التعريف والإضافة.

٣- الإضافة للتعريف وهي ضد التنوين ، لأنه دال على التمام ، الإضافة دالة على النقصان، ويحذف التنوين للإضافة نحو قولك : غلام زيد ، وذلك لأنهما ضدان [٣]

ابن جنى يشترط تنكير الفعل : -

فالفعل عند ابن جنى لابد أن يكون نكرة حتى يستفاد منه ، وهو لا يفيد إذا كان معرفة لأنه غنى بتعريفه والجزء المستفاد والمتمم للمعنى يكون نكره كالخبر تماما فهو

---

[٢] انظر: المصدر نفسه ٣٣/٣.

[٣] المصدر نفسه ٣٢٠/١.

يجري مجرى الوصف على النكرة، كقولك: "مررت برجل يقرأ ، فيقرأ نكرة أفيد منها ، ولو كان معرفة فهذا أدعى للعجب والسخرية " [١].

وهذا ما ذهب إليه د/ محمد حماسة عبد اللطيف ، إذ يرى أن عنصر الدلالة يتحكم فى التعريف والتنكير[٢] .

إن سياقات التنكير "تتعلق بأغراض الدلالة على الفردية أو النوعية ، والتعظيم أو التحقير أو التكثير أو التقليل ومعظم البلاغيين على ارتباط هذه الأغراض بالمتكلم دون المخاطب"[٣].

---

[١] الخصائص ٣/٢٣٦.

[٢] انظر : النحو والدلالة – د/ محمد حماسة عبد اللطيف – دار الشروق – ٢٠٠٠ م ص١٤٧، ١٥٢ .

[٣] التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية – د / مختار عطية – دار الوفاء – سنة ٢٠٠٥م ص ١٣٩.

المبحث السادس

أسلوب القصر بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي

طرق أسلوب القصر عند ابن جنى : -

١- الابتداء بالنكرة ٢- النفي والاستثناء

حيث يقول في ذلك " شر أهر ذا ناب ، فإنما جاز الابتداء بالنكرة ، من حيث كان الكلام عائدا إلى معنى النفي ، أي : ما أهر ذا ناب إلا شر أي : ما أقلق ذا ناب إلا شر ، فلما عاناه وأهمه وكد بالإخبار عنه ألا ترى أنك لو قلت : أهر ذا ناب شر لكنت على طرف من الإخبار غير مؤكد ، بينما لو قلت : ما أهر ذا ناب إلا شر ، كان ذلك أوكد ، كذلك لو قلت : ما قام إلا زيد أوكد من قولك : قام زيد"[1] فالكلام السابق لابن جنى يؤكد أن من طرق القصر الابتداء بالنكرة وهي في ذات الأمر متضمنة معنى القصر – النفي والاستثناء – فالنكرة تضاهي القلة ، والقلة نفي واستثناء .

بلاغة أسلوب القصر عند ابن جنى: -

وتتراءى بلاغة أسلوب القصر في : -

أ- أسلوب القصر أكثر تأكيدا من الأسلوب الخبري .

ب- التعظيم في نفس القائل أو مستمعه.

جـ- الاهتمام والعناية بالأمر .

---

[1] الخصائص ١/٣٢٠.

د- شحذ الهمة لما يقال والاستعداد والتأهب له [٢].

عبد القاهر يغير على كلام ابن جنى في أسلوب القصر ولايشير إليه : -

فعبد القاهر الجرجاني يغير على مفهوم أسلوب القصر عند ابن جنى في المثال السابق وينقله بنصه وفصه دونما أية إشارة إليه " فقولهم : شر أهر ذا ناب وقول العلماء إنه إنما يصلح ، لأنه بمعنى ما أهر ذا ناب إلا شر " [١].

ابن جنى يبتكر طريقا جديدا من طرق أسلوب القصر :

فمن المعروف أن طرق القصر تتمثل في النفي والاستثناء ، إنما والعطف بـ(لا ، بل ، لكن) والتقديم والتأخير ، هذا ما تواضع عليه البلاغيون وأجمعوا أمرهم عليه ، ولكنه هنا يبتكر ضربا جديدا ما عاهدناه عند أحد من سابقيه ولا لاحقيه من ذي قبل ، وهو فعل (القلة) ، والقلة هذه تقارب الانتفاء " [٢] فأنت عندما تقول " قل رجل يقول ذلك إلا زيد ، أجروه مجرى : ما يقول ذلك أحد إلا زيد ، بالرفع فالشيء إذا قل قارب النفي ، وكذلك قولك ، قلما يقوم زيد ويستطرد في الحديث عن قلَّ ومشتقاتها وكذلك قولك : أقل امرأتين تقولان ذلك أي : ما يقول ذلك إلا امرأتان ، لأن المبتدأ هنا – فعل القلة ومشتقات هذه القلة – يضارع حرف النفي ، (ما) [٣] لقد فلسف هذا الأسلوب ، ليت شعري فلم أجدني وجدت ذلك ألبتة بهذا الإقناع المنطقي العقلي .

---

[٢] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[١] دلائل الإعجاز ص ١٤٤ – ١٥٤ ، إنما يصلح : أي في الابتداء بالنكرة وربما يقصد بقوله العلماء ، ابن جنى ، انظر أثر النحاة ص ٣٠٤ وكذا نظرية اللغة في النقد العربي ص٢٢٠ وفيه يؤكد د/ عبد الحكيم راضي على إغارة عبد القاهر على آراء ابن جنى في ذلك.

[٢] الخصائص ١٢٦/٢.

[٣] المصدر نفسه ١٢٦/٢.

ابن جنى يخرج الأسلوب المنفي بأكثر من أداة من أسلوب القصر : -

فمن المركوز في الطبع أن أسلوب القصر عبارة عن (نفي + استثناء) ، في بعض طرقه ، ولكن إذا اجتمع أكثر من نفي، فلا قصر هنا ، لأن نفي النفي إثبات وذلك لا يجوز مع الاستثناء " لذلك لم يجيزوا مازال زيد إلا قائما ، حيث آل المعنى من النفي إلى ثبت زيد إلا قائما ، فكما لا يقال هذا ، فكذلك لا يقال ذلك، فاعرفه"[١] .

حقا إن ابن جنى " قد قطع خطوات أبعد بالنسبة لسواه ، حتى اللاحقين منهم " [٢].

ابن جنى يخالف عبد القاهر في أن أسلوب القصر (ما+غير) ليس بذات (ما+إلا):

حيث يقول " ألا ترى أنك إذا قلت : ما جاءني غير زيد ، فإنما في هذا دليل على أن الذي هو غيره لم يأتك ، فأما زيد نفسه فلم تعرض للإخبار بإثبات مجيء له أو نفيه عنه ، فقد يجوز أن يكون قد جاء وأن يكون أيضا لم يجيء"[٣] فهو هنا يؤكد أن (ما + غير) ليست بذات (ما + إلا) ، فقولنا ما جاء إلا زيد ، أكثر تأكيدا على مجيء زيد ، بينما لو قلنا : ما جاءني غير زيد فهو بين بين وقد يحتمل أن يكون قد جاء ، أو لم يجيء ، فهذا الأسلوب ليس بقوة الأسلوب السابق ويوضح محقق كتابه أنه بذلك يسير في ركب المناطقة فهذا من اصطلاح المناطقة ، بينما في اللغة العربية ، هذا استثناء مفرغ يتساوى مع قولك ما جاءني إلا زيد[١] وعبد القاهر

---

[١] الخصائص ٤٦٦/٢.

[٢] نظرية اللغة في النقد العربي ص ٢٢٠ ويقول أيضا " وقد ظلت أصداء هذه التعليلات – شجاعة العربية – قائمة لدى المتأخرين ولدى البلاغيين ممن تابعوا ابن جنى " ص ٢٦١ وفي أثر النحاة " لقد طرح كثيرا من الموضوعات التي لم يتوصل إليها أحد قبله " ص ٣٢٣.

[٣] نظرية اللغة في النقد العربي ١٣٦.

[١] انظر : حاشية الخصائص ١٣٦/١.

وعامة البلاغيين يجعلون الأسلوبين سواء " واعلم أن حكم غير، حكم إلا ، فإذا قلت ما جاءني غير زيد ، احتمل أن تريد نفي أن يكون قد جاء معه إنسان آخر وأن تريد نفي أن لا يكون قد جاء ، وجاء مكانه واحد آخر"[٢] والبون شاسع بين المثالين ، فابن جنى يؤمن بجواز المجيء وعدمه وعبد القاهر يقر بحقيقة واحدة هي المجيء لا غير ، اتكاء على مضاهات غير بـ(إلا) وحقيقة الأمر أنني لا أفهم لم هذا اللبس وذاك الغموض المكتنف المثال السابق ، من جانب ابن جنى ، فقولنا : ماجاءني غير زيد ، تأكيد على أن زيد هو الجائي ولا يحتمل سوى ذلك لا سيما أنه خص زيدا بالذكر فهو إن لم يكن قد جاء بالفعل فلمَ يخصه ويسمه ويعنه بالذكر؟ ولولا ذلك، لقال "ما جاءني غير فرد"، أما وقد عناه ، فالأمر لا يحتمل سوى المجيء والمجيء فقط .

[٢] دلائل الإعجاز ص ٣٤٩.

المبحث السابع

الإيجاز والإطناب والمساواة بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي

لاغضاضة أن العرب كانوا يستحسنون الإيجاز ويلهجون بالثناء عليه مادامت السماوات والأرض ، وهم والحال هكذا ، لا يميلون – بالطبع – للإطناب ولا يتكلفونه ولو عدنا للوراء ، لوجدنا غير قليل من البلغاء والنقاد يمدحون الإيجاز ، بل إن الجاحظ ليرى أن البلاغة ما هي إلا الإيجاز ولكنه يرى ببصيرته النافذة الثاقبة أن مفهوم الإيجاز ليس تقليل الألفاظ فحسب ، بل قيد ذلك بقوله "البلاغة هي الإيجاز من غير عجز، والإطناب في غير خطل" [١] فهو يرى الإيجاز ولكن مع الوفاء بحق المعنى دونما زيادة أو نقصان .

هذا هو رأي الجاحظ وما نكاد نتقدم قليلا حتى نجد الرماني يعرفه تعريفا لا يختلف كثيرا عن الجاحظ حيث يقول " الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى"[٢].

وهو البلاغة والفصاحة عند ابن سنان الخفاجي "ومن شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار"[٣] ولا طائل من تعديد وتكرير الآراء، فما من جدوى من ذلك ، فالكل قد تطامن وتضامن على بلاغة الإيجاز والاختصار والاقتصاد في الكلام وما يشغلنا هنا هو حديث ابن جنى وآراؤه .

---

[١] البيان والتبيين – للجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – ط – القاهرة سنة ١٩٧٠م ٩٧/١.

[٢] النكت في إعجاز القرآن – تحقيق الأستاذ محمد خلف الله – د/ محمد زغلول سلام – المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٠م ص ٧٦ – ٨٠.

[٣] سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي تحقيق عبد المتعال الصعيدي – أولاد صبيح – القاهرة سنة ١٩٥٣م ص ٢٤١.

أولا : مفهوم الإيجاز عند ابن جنى : -

إن الإيجاز ليس بتقليل الألفاظ وكثرة المعاني – تماما كالجاحظ – إنما هو الكلام المفيد المستقل بنفسه ، التام بذاته الذي لا يحتاج لزيادة أو نقصان ، يقول في ذلك " والإطالة – الإطناب – والإيجاز جميعا إنما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه ، ولو بلغ بها الإيجاز غايته لم يكن له بد من أن يعطيك تمامه وفائدته، مع إنه لابد فيه من تركيب الجملة ، فإذا نقصت عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب " [1].

وكأني به يريد القول إن مدار الاستحسان والاستعذاب في تمام المعنى وفائدته، وهنا تطل علينا الناحية النفسية لأنها هي المنوط بها والموكل إليها أمر الاستحسان أو الاستهجان لذا نراه يستحسن قول القائل – وهو قمة الاختصار – "ألاتا" فيجيب الآخر : بلى "فا" فعلى الرغم من كونه اقتصادا و اقتصارا في القول، إلا أنه لم يستحسنه، والسبب واضح ، وهو هذا الإبهام ، وعدم تمام الكلام وفائدته ، الفائدة المرجوة . وهو بذلك كأنه يقول – بايجاز شديد – الإيجاز من غير عجز ، والإطالة في غير خطل ، لذا نراه يستحسن هذا الإطناب:

أذكر من جارتي ومجلسها طرائفا من حديثها الحسنِ

ومن حديث يزيدني مقة مالحديث المموق من ثمنِ

وقول الآخر :

وحوراء المدامع من معدّ كأن حديثها ثمر الجنان

---

[1] الخصائص ٣١/١ ، ألاتا : ألا تفعل ، بلى فا : بلى فأفعل ، فالإيجاز بلاغة والتقصير عىَّ لأن الإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه ، وليس كذلك التقصير " النكت ص ٧٢.

فهنا " إطالة وتمام ولكن بغير حشو ولا خطل – وهو ذات المعنى، الإطناب من غير خطل – ألا ترى إلى قوله : طرائفا من حديثها الحسن ، فهذا لا يكون مع الحرف الواحد ، ولا الكلمة الواحدة ، ولا مع الجملة الواحدة ، دون أن يتردد الكلام وتتكرر الجمل ، فيبين العذوبة واللدونة والنعمة ، وكذلك (ثمر الجنان) لا يكون مع الحرف حيث لا يجنى ثمر جنة واحدة، فضلا عن جنان كثيرة ، فكل ذلك لا يكون مع الصمت ، وحذف أطراف الكلام ، بل مع الكلام وما يستتبعه من فكاهة ومداعبة" [١].

فمعول الاستحسان والاستعذاب والراحة النفسية ، كل ذلك مأتى من إتمام الكلام وكماله ، فهو لا يرى الإيجاز مطلوبا لذاته ، وكذا الإطناب إنما المطلوب المرغوب هو استكمال المعنى ، وهذا ما دار عليه السابقون واللاحقون أيضا.

بلاغة الإطناب والإيجاز عند ابن جنى: -

يرى – ابن جنى – أن الإطناب بلاغة وفصاحة ، وهي بلوغ المعنى وتمامه وكماله وتوضيحه وتفصيله ، وللإيجاز بلاغة وهي الحفظ ، فما دام الكلام قليلا موجزا، فهو مدعاة للحفظ ، يقول في ذلك "قيل لأبي عمرو : أكانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم لتبلغ، قيل: أفكانت توجز، قال نعم ليحفظ عنها " [٢] وقال أيضا " وللإطناب الفضل واليد الطولي مادام يزيد المعنى توضيحا " [٣] .

---

[١] الخصائص ٣٢/١.

[٢] المصدر نفسه ٨٤/١.

[٣] المصدر نفسه ٢٦٨/٢.

ابن جني يؤكد علي حب العرب للإيجاز : -

فالعرب تميل للإيجاز ، لما في للإطناب من ملل و تجشم مالا يطيقونه وهذه حالة مستكرهة لديهم فهم "يؤثرون الإيجاز وحذف فضول كلامهم "[٤] وهنا تستشعر الملمح النفسي عندما يؤكد أن النفس تستثقل ذلك وتتجشمه ولا تطيقه فالإطناب باعث علي السآمة والضيق، ولولا نفور النفس منه لما استوحشته العرب ، ومما يؤكد ما ذهب إليه " أن العرب عندما أكدت أجمعون وأكتعون أتبعون ، لم يكرروا الكلمة جميعها ، فلم يقولوا : أجمعون أجمعون أجمعون لكنما كرروا العين فقط ، أي : أجمع ، أكتع، أتبع " [١].

ابن جني يستدل علي حب العرب للإيجاز : -

وذلك من كثرة المحذوف في القرآن الكريم، كحذف المضاف ، والمضاف إليه والموصوف والاكتفاء بالقليل من الكثير ، كالواحد من الجماعة ، وكالتلويح من التصريح [٢].

نوعا الإيجاز عند ابن جني : -

وقد قسم ابن جني الإيجاز إلي نوعين : **إيجاز قصر وايجاز حذف** ، وليس كما يزعم ابن سنان الخفاجي أن الرماني أول من عرف إيجاز القصر [٣] لاسيما وأن الرماني – ت ٣٨٦ هجرية – وابن جني – ت ٣٩٢ هجرية وأبا هلال العسكري – ت

---

[٤] المصدر نفسه ٨٣/١.

[١] الخصائص ٨٤/١.

[٢] المصدر نفسه ٨٧/١.

[٣] انظر: سر الفصاحة ص٢٤٧ وأثر النحاة ص ٢٥٤.

٣٩٥ هجرية كانوا جميعا في عصر وقرن واحد ، ألا وهو القرن الرابع الهجري ، بل إن ابن جني فد أعطي إجازة بكتبه لبعض الآخذين عنه عام ٣٨٤ هجرية ، أي قبل موته بنحو ثماني سنوات تقريبا أي ليس هناك برأي قاطع في ذلك – في أيهم عرف إيجاز القصر أولا – وما يحق لأحد أن ينسب ذلك لعلم بعينه ، إلا إذا عرفنا علي وجه الدقة سنة تأليف كتب هؤلاء البلغاء ، وما هذا بمستطاع – نعود لما سبقنا القول إليه منذ قليل بأن ابن جني قد عرف إيجاز القصر وتناوله وذلك خلال حديثه عن بلاغة حروف الاستفهام وأدوات الشرط وذلك أن الحرف الواحد من هذه الحروف قد أغني عن الكلام الكثير المتناهى في الأبعاد والطول وذلك " من قولك: كم مالك؟ ألا تـــــــــري أنـــــــــه قـــــــــد أغنـــــــــاك عـــــــــن قولك : أعشرة مالك ، أم عشرون ، أم ثلاثون ؟أم مائة أم ألف ، فلو ذهبت تستوعب الأعداد ، لم تبلغ ذلك أبدا ، لأنه غير متناه ، فلما قلت (كم) أغنتك هذه اللفظة الواحدة عن تلك الإطالة غير المحاط بآخرها ولا المستدركة ، وكذلك أين بيتك؟ قد أغنتك (أين)، عن ذكر الأماكن كلها ، وكذلك من عندك ؟ قد أغناك هذا عن ذكر الناس جميعهم ، وكذلك متي تقوم؟ ، قد غنيت بذلك عن ذكر الأزمنة علي بعدها ، وعلي هذا بقية الأسماء ، نحو ، كيف ، وأي وأيان ، وأني وكذلك الشرط في قولك : مـــن يقـــم أقـــم معـــه ، فقـــد كفـــاك ذلـــك مـــن ذكـــر جميـــع النـــاس كقولك : إن يقم زيد أو جعفر أو عمرو أو قاسم ، ونحو ذلك ، وكذلك بقية أسماء العموم في غير الإيجاب ، نحو أحد ، وديار وأرِم ، وبقية الباب ....،،،

ثم يختتم كلامه بقوله : ثم تقتصر اقتصار المعترف الكليل وهذا وغيره شاهد بإيثار القوم قوة إيجازهم وحذف فضول كلامهم "[1] فآية ذلك أن هذا النص – علي طوله – ليدل يقينا أن ابن جني قد عرف إيجاز القصر المعتمد علي تقليل الألفاظ وتكثير

[1] الخصائص ٨٣/١.

المعني – كما ارتأيت – من غير حذف وهو أعلي طبقات الإيجاز ومركز عناية البلغاء ، وهو شاذ نادر .

أما إيجاز الحذف :- فحدث ولا حرج ، فعماده الحذف ، وأمثلته كثيرة ، **ومنها**:- حذف الحرف ، مثل أمرتك الخير ، أي أمرتك بالخير "[٢] وكذلك قولك : بمن تمرر أمرر ، وعلي من تنزل أنزل ، أي : أمرر به ؟ وأنزل عليه [١] ، لاب لك أي لا أب لك ،[٢] حذف الهمزة .

بلاغة الحرف في قمة الحذف : -

وذلك لما تضمنته من حذف الكلمة والكلمتين والجملة والجملتين مثال ذلك : ما قام زيد ، فقد أغنت (ما) عن (أنفي) وهي جملة من فعل وفاعل وكذلك : قام القوم إلا زيدا ، فقد أغنت (إلا) عن أستثني وهي جملة فعلية أ يضا ، وكذلك حرف العطف (الواو) في قولك : قام زيد وعمرو فقد أغنت (الواو) عن "أعطف " وكذلك (ليت) نابت مناب أتمنى وكذلك (هل) نابت مناب أستفهم وكذلك قوله تعالى : **"فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ"**[٣] فكأنك قلت : فبنقضهم مثياقهم فعلنا كذا حقا أو يقينا ، وإذا قلت : أمسكت بالحبل ، فقد نابت الباء عن قولك : أمسكته مباشرا له وملاصقة يدي له ، وهكذا [٤] .

---

[٢] المصدر نفسه ١/٢٨٥.

[١] الخصائص ١/٢٨٧.

[٢] المصدر نفسه ٣/١٥٣.

[٣] النساء : ١٥٥.

[٤] الخصائص ٢/٢٧٦.

بلاغة الإيجاز والعامل النفسي: -

وذلك من تأكيده على أن النفس تقدر ذلك المحذوف وتستحسنه ، ولا تكره اللفظ وتظهره ، فمدار الأمر عنده هو الحسن والقبح ، فالحسن في الحذف والقبح في الإظهار ، وضابط ذلك كله النفس " ألا ترى أن هنا أشياء مقدرة لو ظهرت إلى اللفظ قبحت ، ولولا ذلك ما حسنت " [٥]..

ومهما يكن الأمر فإن ملالة طول الكلام أدعى إلى الإيجاز وذلك أنهم حذفوا "خبر أسلوب القسم ، لطول الكلام بجواب القسم وذلك فى قولهم : لعمرك لأقومن ، أي لعمرك ما أقسم به لأقومن " [١] .

ثانيا : المساواة: -

وهي الحد الفاصل بين الإيجاز والإطناب ، فهي وسط ، وهي مساواة اللفظ للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص [٢] وهي داخلة في الإيجاز عند الرماني ، حيث يقول ابن رشيق " والإيجاز عند الرماني على ضربين : مطابقة لفظه لمعناه ولا زيادة ولا نقصان ، وهذا ما يسمونه المساواة " [٣] ويقول د/عبد القادر حسين إنها كذلك عند أبي هلال العسكري وبدر الدين بن مالك [٤] وهي عند ابن سنان الخفاجي من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى ويسميها إيجاز التقدير [٥] .

---

[٥] المصدر نفسه ٤١١/٢.

[١] الخصائص ٣٩٤/١.

[٢] انظر : نقد الشعر ص ١٧١ ، والمثل السائر ٨/٢ والإيضاح ص ١٨٢.

[٣] العمدة ١/ ٢٥٠.

[٤] انظر : أثر النحاة ص ٢٥٥.

[٥] انظر : سر الفصاحة ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

وعند صاحب الطراز باسم الاقتصاد ، والاقتصاد أن يكون المعنى مساويا للفظ من غير زيادة فيكون إفراطا ، ومن غير نقصان فيكون تفريطا [٦].

ابن جنى يعرف المساواة: -

وذلك عندما يتناول هذا المثال وذلك " في جواب من قال لك : الحسن أو الحسين أفضل أم ابن الحنفية ؟ فجوابه على ظاهر سؤاله أن يقول: أحدهما ومعنى قوله هذا أن يكون الجواب مساويا السؤال ، أي اللفظ يساوي المعنى فهذه هي المساواة في قوله أما إذا قال المجيب : الحسن ، فهذا تطوع ، أي إطناب"[١].

بلاغة المساواة عند ابن جنى : -

تكمن في الدقة والاختصار والإيجاز ، فهي إلى الإيجاز أميل.

معنى آخر للمساواة عند ابن جنى: -

وهو يتناول هذا المعنى من جهة أخرى ، جهة الاعتدال والاقتصاد ، وذلك عندما يتناول مواقف الناس من الحب ، فهم بين ثلاثة أمور : معرفة عموم الناس به ، ومنهم من يدعي كتمانه ، ومنهم من يكتمه ولا يعرفه إلا الله فهو بين بين "فقد ترى إلى اعتدال الحالين فيما ذكرت ، وهو كتمانه إلا على الله حيث يقول عمر بن أبي ربيعة:-

فقلت لها : ما بي لهم من ترقب ولكن سري ليس يحمله مثلي [٢]

---

[٦] الطراز ٢٩٩/٢.

[١] الخصائص ٢٦٨/٢ – ٢٦٩.

[٢] المصدر نفسه ٤٤/١.

والمساواة هنا ليس المقصود بها مساواة اللفظ للمعنى ، ولكن المقصود بها كيفية مواجهة الناس للمواقف ، لقد تحولت المساواة عنده من ألفاظ إلى مواقف و أحوال ورجال .

ثالثا : الإطناب: -

وللإطناب بلاغة – أية بلاغة – تتمثل في الشرح والتفسير والإيضاح والتفصيل بعد الاجمال وتأييد وتقوية وتمكين المعنى في نفس السامع كما أن لها بعدا نفسيا، يتضح في ائتناس الإنسان به واستئناس النفس به وكأني بالإطناب أنيس وسمير لتلك النفس "ومن ذلك في جواب من سألك عن علة انتصاب زيد فى قولك ضربت زيدا، وأنه إنما انتصب ، لأنه فضلة ومفعول به ، فالجواب قد استثقل بقولك: لأنه فضلة، وقولك من بعد، مفعول به تأنيس وتأييد وكأنك أنست بذلك شيئا ، وأيضا فإن فيه ضربا من الشرح ، وذلك أن كون الشيء فضلة لا يدل على أنه لابد من أن يكون مفعولا به ، فلما قلت : (ومفعول به) ميزت أي الفضلات هو" [١] .

دواعي الإطناب عند ابن جنى: -

ومن ذلك وجود حاجة ملحة ، كالإبانة والتوضيح، وكشف ما غمض واسبتهم وإزالة الشك عن شيء ما والملل من الإيجاز والتحرر من هذا الإسار [٢] وكذا معرفة علة الحكم، كرفع طلحة، فى قولك: جاءنى طلحة، فقلت: الرفع للإسناد ولأنه مؤنث ، ولأنه علم ، فاعرف بذلك موضع ما يمكن الاحتياط به للحكم ، فلا يكون له فيه مقدار " [٣].

---

[١] الخصائص ١٩٨/١.

[٢] المصدر نفسه ٨٧/١.

[٣] المصدر نفسه ١٩٦/١.

ومن دواعي الإطناب – أيضا – ألا ينتقص المعنى ، وألا يكون الجواب كالسؤال مبهما عاريا من التوضيح، ولا بأس لو زاد عليه، فالفضل كل الفضل في ذلك "إن هذا ليس عيبا ، بل هو زائد على المراد إنما العيب أن يقصر في الجواب عن مقتضى السؤال، فأما إذا زاد عليه، فالفضل معه واليدله " [٤] فمعنى هذا أنه لا يمدح الإيجاز في حد ذاته ، فإذا كان عجزا ، فلا، أما الإطناب الذي يكتسي به المعنى توضيحا ، فلا بأس به ، فهو أجل وأعظم من الإيجاز المعيب الناقص فهو متأرجح بين هذا وذاك ، فالميزان عنده المعنى.

طرق الإطناب عند ابن جنى: -

١- **التوكيد** :- وهو من طرق الإطناب، يقول في ذلك " والتوكيد من أماكن الإسهاب والإطناب " [١] وغرض التوكيد البلاغي هو "إرادة المعنى والاهتمام والعناية به والتمكن منه" [٢].

وسائل التوكيد عند ابن جنى: - أ - التكرار وهو على ضربين : -

أولهما : التكرار اللفظي: -

ويكن بتكرار الأول بلفظ ، كقولك : " قام زيد قام زيد، وقد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، والله أكبر الله أكبر، وكقول الشاعر :-

أبوك أبوك أربدُ غير شك أحلك في المخازى حيث حلاّ [٣]

---

[٤] المصدر نفسه ٢٦٨/٢.

[١] الخصائص ٩٧/٣.

[٢] المصدر نفسه ١٠٣/٣.

[٣] المصدر نفسه الصفحة نفسها.

وهو لا يمتدح التكرار اللفظي ، لذا نراه يؤول " أبوك " الثاني بالخبر عن الأول ، الخبر – كما هو معلوم – ما أضاف جديدا للمبتدأ وأكسبه معنى قشيبا لذا يرى – أبوك – هذا بمعنى الرجل المشهور بالدناءة والقلة ، أي أبوك الرجل المشهور بالدناءة والقلة .

التثنية عند ابن جنى تكرار لفظي: -

ويتناول هذا البيت :

نطعنهم سُلكي ومخلوجةً كرّ كلامين على نابل

فهو يؤول تثنية كلامين على ذي النبل ، إذا قيل له : ارم ارم [٤] فهذا يكون تكرارا لفظيا ، وإما أن يكون المعنى الآخر كرك لامين ، وهما السهمان ، ولكنك رميتهما فوقعا في مكانين ، فهذا تكرار لفظي ، وإن اختلف المكان، هو– أى التكرار اللفظى – عند االجاحظ باسم (الترديد) ويكون بغرض "الإفهام والتوكيد ووفاء بحق المعنى وما زاد فهو عي " [١] وله جانب نفسي يتمثل في " انبعاث وجداني يفيض على السامع حرارة يتحرك لها قلبه ، وإلا كان صورة باردة تفتقد نبض الحياة " [٢].

بلاغة التكرار اللفظي عند ابن جنى : -

ومن بلاغة التكرار اللفظي : الكثرة ، ويقول ابن جنى في ذلك " فإذا أرادوا كثرة العشب كرروا العين وزادوا الواو ، فقالوا : اعشوشب " [٣] وكذلك المدح والتعظيم

---

[٤] المصدر نفسه ١٠٣/٣ .

[١] البيان التبيين ٧٥/١ ، وانظر الحيوان ٩١/١ .

[٢] التكرير بين المثير والتأثير – د/ عز الدين على السيد – الهيئة المصرية للكتاب – سنة١٩٨٩م ص ٩٢.

[٣] الخصائص ٢٦٧/٣.

والتفخيم كقولـه تعـالى (**الْقَارِعَـةُ ◆ مَـا الْقَارِعَـةُ**)[٤] ويكـون أيضـا للشـدة والأمـر العظـيم كقولك : اليوم اليوم [٥] هذه الأغراض هي مادارت حولها بلاغة التكرار اللفظي عند ابن جنى .

شرط بلاغة التكرار اللفظي عند ابن جنى : -

ويشـترط لكـي يكـون التكـرار اللفظـي محمـودا حسـنا ، أن يكـون هنـاك فاصـل يفصل بين الألفاظ المكررة[٦] وهو بذلك يسير على درب الفراء الذي يستقبح ويستهجن التكرار اللفظـي ولا يـراه محمـودا إلا بفاصـل ، وقـد يستحسـن التكـرار المعنـوي عنـه ، يقول في ذلك " لا يجوز ما ما قام زيد ، ولا مررت بالذين الذين يطوفون"[١].

موقف البلاغيين من التكرار اللفظي: -

ويقسمه ابن رشيق " ثلاثة أقسام : تكرار اللفظ دون المعنى وهو الأكثر تكرار المعنى دون اللفظ وهو الأقل ، وتكرار اللفظ والمعنى جميعا وهو الخذلان بعينه " [٢] ويعتبره الحاتمي حشوا لا فائدة فيه[٣].

---

[٤] المصدر نفسه ٥٦/٣ والآيتان من سورة القارعة ١ ، ٢.

[٥] الخصائص ٧٩/٢.

[٦] أثر النحاة صفحة ٣٠٠.

[١] معاني القرآن ١٧٧/١ ، وانظر : أثر النحاة حيث يقول صاحبه " غير أن الفراء يضطر إلى قبول التكرار، إذا كان يحمل طابا مميزا كاختلاف اللفظ والمعنى أو الفصل بين اللفظين " ص١٤٣ ، وانظر الكتاب ٣٠/١ ، حيث يستحسن سيبويه التكرار اللفظي يستقبحة ولا يرى ضيرا في ذلك.

[٢] العمدة ٧٢/٢ ، ٧٤.

[٣] حلية المحاضرة ١٤٧/١.

على أن الزركشي يحمل بعنف على ابن جنى والفراء اللذين ينكران التكرار اللفظي " وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له وليس كذلك ، بل هو من محاسنها ، وغرضه التوكيد "[٤] وهو عند الخطابي – ت ٣٨٨ هـ أي إنه كان معاصرا لابن جنى – ينقسم قسمين : مذموما ، ومحمودا والمذموم هو مالا يستفاد منه، ولعله بذلك يقصد التكرار اللفظي ، والمحمود الذي يضيف معنى جديدا ويحتاجه المقام ولعله بذلك يقصد التكرار المعنوى [٥]

ابن الأثير يقتفي أثر ابن جنى في بلاغة التكرار اللفظي : -

وهو عند ابن الأثير قسمان : مفيد وغير مفيد ، ويقتفي بذلك أثر ابن جنى من حيث الغرض البلاغي لكليهما وهو الدلالة على العناية بالشيء [١] وإنما أعيد لفظ الأول " لضرب من الإدلال والثقة بمحصول الحال" [٢].

ثانيا : بلاغة التكرار المعنوي : -

والمعروف أن التوكيد المعنوي يشمل (كل – جميع–نفس–عين) + ضمير غير إنه قسمه إلى مجموعتين ، **لعلتين بلاغيتين مختلفتين** :-

إحداهما : للعموم والشمول والإحاطة مثل قولهم : قام القوم كلهم ، ورأيتهم أجمعين، وكذلك أكتع ، وأبتع وأبضع ، والتوكيد هنا من تكرار حرف بعينه هو حرف العين ، لقد أصبح الحرف عنده دالا على التكرار والإطناب – هو إطناب باطنه إيجاز –

---

[٤] البرهان ٩/٣.

[٥] انظر : بيان إعجاز القرآن – ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٥١.

[١] المثل السائر ١٥٧/٢، وأثر النحاة ص ٣٠١.

[٢] الخصائص ٣٤١/٣.

ويخص هذا الحرف دون سواه لأنه دون سواه " يدل على المبالغة"[٣] لقد عدلوا عن " إعادة جميع الحروف تحاميا – مع الإطالة – لتكرير الحروف كلها " [٤] ويفرق بين أجمع بفتح الميم وأجمع بضم الميم " فأجمع بالفتح توكيد معنوي ، من جاء الجيش بأجمعه وأجمُع بضم الميم ، جمع تكسير لا محالة " [٥] .

ويعلل تعليلا فلسفيا منطقيا سبب تكرار هذا الحرف دون غيره " لأنه آخر حروف الأصل فجيء بها لأنها مقطع الأصول ، والتكرير إنما هو على المقطع لاعلى المبدأ ولا المحشى " [٦].

فالسبب – من وجهة نظره – يتضح فى أن العين آخر الكلمة ، فالأولى والأولى أن يصيبها التكرار .

ثانيتهما : يأتي التكرار المعني للتثبيت ، والتمكين والتوكيد ، ويظهر ذلك مع (نفسه) فقط ، وذلك في قولك "قام زيد نفسه ، رأيته نفسه" [١] ويأتي التكرار في الكلام تأكيدا له وتشديدا على أمره "للدلالة على العناية بالشيء : إما مبالغة في مدحه أو ذمه أو غير ذلك ويكثر في مواطن الفخر والمدح والإرشاد والتلذذ " [٢].

---

[٣] المصدر نفسه ٨٤/١.

[٤] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[٥] المصدر نفسه ص ٨٦.

[٦] المصدر نفسه ١٠٦/١.

[١] الخصائص ١٠٦/١.

[٢] البلاغة الغنية – د/ علي الجندي – نهضة مصر – القاهرة سنة ١٩٥٦ م ص ١٢٦.

ثالثا : نوع جديد للتكرار ابتكره ابن جنى، هو التكرار بالمعنى : -

وذلك مثل قولهم لبيك وسعديك ، إن معناهما أن كلما كنت في أمر فدعوتني إليه أجبتك وساعدتك عليه . ومنه قول الشاعر :-

إذا شُق بردٌ شق بالبرد مثله دواليك حتى ليس للبرد لابسُ [٣]

فالتكرار بالمعنى هنا دواليك ، أي مداولة بعد مداولة ، لا على دولتين **ثنتين** .

بلاغة التكرار بالمعنى: -

فهذا – أي التكرار بالمعنى ،" يدل على العموم"[٤] .

ابن جنى يبتكر طرقا جديدة للتوكيد هى : -

١- **بلاغة التأنيث** : وهو عنده من علامات التوكيد، كقولهم : فرسة ، عجوزة لأن مذكرها يكفي لأنهم "لو اكتفوا بخلاف مذكرها – وهي جمل – لغنوا بذلك" فبلاغة التأنيث عنده هي بلاغة التوكيد والمبالغة . "والعرب تؤكد التأنيث بأنثاه والتوكيد بمثل ذلك لمذكره ، فيكون كالفضل في الكلام فهذا من ذلك " [١].

٢- **بلاغة التثنية** : وذلك قولهم : " دُهْدُرَّين – ومعناها بطل بطلا بعد بطل لا يراد بها ما يشفع الواحد مما هو دون الثلاثة ، وإنما الغرض فيها التوكيد وتكرير المعنى " [٢] .

---

[٣] الخصائص ٤٧/٣.

[٤] المصدر نفسه ٤٧/٣.

[١] معاني القرآن ٤٠٣/٢.

[٢] الخصائص ٤٧/٣ .

٣- **بلاغة النسب** : وغرض النسب تأكيد المعنى وإشباع الصفة وتقوية المعنى كقوله والدهر بالإنسان دوَّارىٌ **أي** : دوار وقد ذكرنا من قبل أن ياء الإضافة –النسب – إذا لحقت الصفة قوت معناها " [٣] فزيادة الياء في الصفة " أكثر من الاسم ، لأن الغرض توكيد الصفة " [٤].

٤- **بلاغة الصفة** : وهي تكمن في التوكيد والاحتياط [٥] ، كقوله تعالى " إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ " [٦] ، وقوله تعالى "**وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى** " [٧] وقوله " **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَة** " [٨] وقولهم : مضى أمس الدابر وأمثلة التوكيد بالصفة هي عينها عند عبد القاهر " وأن من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ، ولكن يؤتى بها مؤكدة [٩]

بشرط بلاغة الصفة: -

وقد تكون الصفة مفيدة ، وغير مفيدة فالمفيدة، هي التي تضيف جديدا وتفسر مبهما وغير المفيدة هي نقيض ذلك، وذلك في جواب من قال رأيت

---

[٣] المصدر نفسه ٢٠٩/٣.

[٤] المصدر نفسه الصفحة نفسها .

[٥] المصدر نفسه ١٠٧/٣.

[٦] النحل : ٥١.

[٧] النجم : ٢.

[٨] الخصائص ١٠٧/٣.

[٩] المصدر نفسه ٩/٢ والإيضاح ص ٣١.

زيدا : آلمني يافتى ، فالمنى صفة غير مفيدة – لأنها لم تضف جديدا ولم تفسر مبهما ، فكأنك قلت : آلقرشي ؟ أو آلبكري ؟ [١] .

٥- **بلاغة إنزال المضارع منزلة الماضي** : وتتمثل بلاغة ذلك في الاحتياط والتوكيد [٢] ويفلسف تلك البلاغة في قوله " لأن المضارع أسبق رتبة من الماضي وهو الأصل وهو بعد العدم ، فلو نفي المضارع نفي الحدث ، ونفي بالضرورة الماضي وغير الماضي ، لأن ذلك كله في حكم الفرع ، ومنه قولهم ، لم يقم زيد ، جاءوا فيه بلفظ المضارع و إن كان معناه المضي"[٣].

٦- **الحال المؤكدة :** من قولك : أخذته بدرهم فصاعدا ، فصاعدا هذه أيضا حال مؤكدة ، لأن صاعدا معناه زيادة الثمن ، وكذلك قوله تعالى (**ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**) [٤] فهذه "حال مؤكدة"[٥].

شرط بلاغة الحال وكونها مؤكدة : -

ويشترط البلاغيون لذلك أن تكون "زائدة على أصل المراد ، فتعد من قبيل التأكيد له بعد اكتمال مرتبة الإفادة" [٦] .

---

[١] الخصائص ١٠٦/٣.

[٢] انظر : المصدر نفسه ٢٠٠/١ ، ١٦١/٢.

[٣] المصدر نفسه ١٠٧/٣.

[٤] التوبة : ٢٥.

[٥] الخصائص ١٠٧/٣.

[٦] انظر : المثل السائر ١٦٦/٢ – ١٦٧ ، والبرهان ١٠/٣ – ١١ ، الإيضاح صفحة ١٨٠ ، نظرية اللغة في النقد العربي ص ٢٠٩ ٢١٠ .

٧ - إنزال الماضي منزلة المضارع: -

لأن نفى الماضي يكون لتوكيد المعنى، لأنه الواقع بلا شك ، المضارع مشكوك في وقوعه ، فنفي المقطوع المتحقق وقوعه أقوى من نفي المرتاب في أمره ، نحو قولك : إن قمت قمت ، فجيء بلفظ الماضي والمعنى المضارع وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى فكأنه قد وقع واستقر[١] .

ابن الاثير يسلك مسلك ابن جنى في بيان بلاغة هذا النوع - أى الحال - وأنه للتوكيد: -

" وإنما يقصد إليه تعظيما لحال من أجرى عليه وتفخيما لأمره ، ويفعل ذلك توكيدا لما أجري عليه الفعل لمكان العناية بتحقيقه " [٢] .

٨ - حروف الجر الزائدة : -

وهي عنده للتوكيد والاحتياط والتمكين وقوة المعنى ومنه قوله :

قالت بنوعا مر خالوا بني أسد يا بؤس للجهل ضرَّار الأقوام

أراد : يا بؤس الجهل ، فأقحم لام الإضافة تمكينا وإحتياطا لمعنى الإضافة [٣] ويطل التفكير المنطقي الديالكتيكي الجدلي عندما يقول إن تعليق اسم المضاف (بؤس) والتأول له أسهل من تعليق حرف الجر والتأول له وضعف الحرف [٤].

---

[١] انظر : الخصائص ١٠٧/٣ ، وهذا النوع يسميه ابن الأثير، والعلوي بـ(الالتفات)، انظر المثل السائر ١٣/٢ – ١٨ ، الطراز ١٣٦/٢ – ١٣٧.

[٢] المثل السائر ١٣/٢ – ١٤.

[٣] الخصائص ١٠٩/٣.

[٤] انظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

ابن جنى يسمي الحروف الزائدة بحروف الصلة : -

وذلك في كلامه عن حرف الجر اللام " ألا ترى أن لام الجر في نحو يالزيد دخلت موصلة لـ(يا) إلى المنادى ، كما توصل الباء الفعل في نزلت بك وظفرت به "[١]

البلاغيون وبلاغة الحروف الزائدة : -

وبلاغة حروف الجر الزائدة المتمثلة في التوكيد أدركها الخليل وسيبويه فقولك : مررت برجل حسبك به من رجل ، فالباء دخلت هنا للتوكيد والتخصيص[٢] ونفس الأمر عند الفراء [٣] والطبري لا يرى ذلك بل يؤوله [٤].

ابن جنى يخالف البلاغيين فى بلاغة الحروف الزائدة : -

على أن بلاغة الحروف الزائدة ليست للتوكيد عند ابن جنى فحسب كسابقيه ولاحقيه ، ولكنما لاتصال أجزاء الكلام بعضه بعضا وتوصيل والتحام وارتباط أداة النداء بالمنادى[٥] وعند الشريف الرضي لتوكيد المعنى – أيضا – ولتزيين اللفظ وفصاحته [٦]

---

[١] الخصائص ٢٣٣/٣.

[٢] انظر : أثر النحاة ص٥٨.

[٣] انظر : معاني القرآن للفراء ٤٠٣/٢.

[٤] انظر : تفسير الطبري ٩٦/٨.

[٥] انظر : الخصائص ٢٣٣/٣.

[٦] شرح الكافية – للشريف الرضي – دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٩٣٠ م ٣٨٤/٢.

ابن جنى يناقض نفسه : -

فهو يبدو متناقضا مضطربا في رأيه الذي يراه بوجوب امتناع حرفين لمعنى واحد ، ثم يعود فيعدل عن هذا الرأي عندما يتناول هذا البيت :-

أني جزوا عامرا سوءا بفعلهم أمْ كيف يجزونني السُوءي من الحسنِ

وجمعه بين (أم وكيف) ، فالقول إنها ليس لمعنى واحد ، ذلك أن (أم) جردت من معنى الاستفهام لمعنى الترك والتحول ، وأبقيت (كيف) على معناها ، وهو الاستفهام ، لأنه ليس في الكلام اجتماع حرفين لمعنى واحد ، لأن في ذلك نقضا لمعنى الاختصار ، لذا يؤول قول الشاعر :-

ما إنْ يكاد يخليهم لوجهتهم

فما : حرف نفي ، و إن للتوكيد بمنزلة ما ولا ، الباء ، ومن ، فكأنها حرف جر زائد ، ثم يهدم ما قاله هدما عندما يتناول البيت القائل :-

طعامهم لئن أكلوا معدٌّ وما إنْ لا تُحاك لهم ثيابُ

فإن (ما) وحدها للنفي ، و (إن ، لا) للتوكيد ، ولا ينكر اجتماع حرفين لمعنى التوكيد ، وذلك في قوله تعالى " **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا** " [1] فما والنون جميعا للتوكيد ثم يظهر ذات التناقض عندما يقول صريحا واضحا إنه يجوز اجتماع حرفين لمعنى واحد وغرض واحد، هو التوكيد في الجملة ، أما في باب الأمر والنهي والإضافة ، فلا يجوز ، ولكن ما رأيك في قوله – في باب الأمر والنهي– لتقومن ، ولتقعدن ، فاللام والنون جميعا للتوكيد ؟!! [2].

---

[1] مريم : ٢١.

[2] الخصائص ٣/١١٠ – ١١٣.

ويؤكد أن (النون) دائما للتوكيد ، مع الأمر ، مع النهي ، مع الاستفهام ، مع الخبر، نحو قولك : هل تقومن ؟ اضربن زيدا ، لا تضربن زيدا ، الخبر في قولك : لتضربن زيدا ، النفي في قولك : قلما تقومن ، وهكذا [٣]. ونون التوكيد تحيل معنى المضارع للاستقبال ، وليس الحال التي المضارع أولى بها [٤].

٩ - إعادة العامل فى العطف والبدل أكثر توكيداً : -

فالعطف نحو قولك : مررت بزيد وبعمرو فهذا أوكد معنى من مررت بزيد وعمرو ، والبدل نحو قولك : مررت بقومك بأكثرهم ، فهذا أوكد من قولك : مررت بقومك أكثرهم [١] فهو يحبذ هذا النوع لأنه أكثر تأكيدا ، فهو يعلو التأكيد درجة .

البلاغة الصوتية والإطناب : -

وللبلاغة الصوتية دور – أي دور – في تبيان الإطناب ولا سيما التكرار وبلاغته التوكيد، لقد تجسد وتمثل في الصوت كل شيء ، هو صوت وصورة ، هو وحدة مرئية مسموعة ، وتقطيع الصوت وتكراره يكون في الوسط – فهو محصن – ولا يكون في الأطراف ، لأنه يكون معرضا للحذف والإعلال ، ولا يكون في أول الكلام لأنه ضعيف ، حتى موقع الصوت لم يكن ليأتي هكذا غفلا ساذجا بل عن قصد ووعى ، وهدف ورؤية وقوة تأكيد " فلما كانت الأفعال دليل المعاني كرروا أقواها – ويقصد عين الكلمة وهذا دال على قوة الحدث – وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل ، كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر دليلا على تقطيعه في الواقع

---

[٣] انظر : المصدر نفسه ١١٢/٣.

[٤] المصدر نفسه ٨٥/٣.

[١] الخصائص ١١٣/٣.

، ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام لكراهية التضعيف في أول الكلام ولا في آخره لأنه موضع الحذف والإعلال وقد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل " [٢] فبلاغة تكرار عين الكلامة ووسطها هنا مفادها التوكيد وقوة المعنى والحدث وتجسيمه.

التفكير الديالكتيكى والبلاغة الصوتية : -

لقد أضحى الصوت عند ابن جنى صورة طبق الأصل للعمل الذي يقوم به الإنسان ، وأصبح الصوت يتناسب وحالات الإنسان وفترات عمله وجهده ودرجات قوته وضعفه وذلك عندما يتناول الفعل (جر) فأول الجر "يحتاج لقوة وشدة ومشقة، لذلك قدم الجيم على الراء لأنها الأقوى، ثم كرر الراء ، وهي مكررة مع ذلك في نفسها ، وذلك لأن الشيء المجرور يهتز ويتحرك صعودا ونزولا فكانت الراء ، لما فيها من التكرير في النطق صعودا ونزولا ، ولهذا كانت أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف"[١] فالحرف قد نقل لنا الحركة والمشهد، فلم يعد الصوت – إذا – مجرد حرف يرص بجوار بعضه بعضا ، بل أصبح أحداثا وشخوصا تتنفس وتشعر وتتحرك وتوحي وتومئ.

البلاغيون يقتفون أثر ابن جنى في البلاغة الصوتية : -

وعلى رأسهم ابن الأثير، لقد تتبع ابن الأثير كلام ابن جنى في ذلك – كعادته – ورأى أن بلاغة الأصوات لها موقع جليل عظيم وأن تلك الأصوات "تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر ، وأن لها وقع وأثر على النفس ، إذا كانت مقاطع الكلام معتدلة" [٢].

---

[٢] المصدر نفسه ١٥٧/٢.

[١] الخصائص ١٦٦/٢.

[٢] المثل السائر ١١٤/٢ – ١٦٩.

وحذا ابن القيم والعلوي وابن أبي الأصبع نفس الشأو حتى لا نكاد نصل إلى البلاغيين المحدثين أمثال مصطفى صادق الرافعي ، حتى نرى هذا التأثر بابن جنى ، وذلك في ربطهم بين الصوت والحدث من ناحية ، وربطهم بين الصوت والحالة النفسية من ناحية أخرى فكلهم عيال عليه ، ولو أمعنا النظر وأنعمنا الفكر لوجدناهم وقد اتكأ كلا منهم على نظرياته وآرائه ولم يكن هناك ثمة جديد قد أتوا به ، مما جعلهم عاجزين مشدوهين لما أدلى به ابن جنى في ذلك [١].

فتكرار الأصوات " إيذانا بتكرار المعاني ومنها تكرار الزلزلة والصلصلة والصرصرة فهذه الأشياء تحدث مرارا وتكرارا والذي أوحى لنا بذلك هو تلك الأصوات المتكررة" [٢].

ابن جنى يناقض نفسه في حديثه عن تكرار الأصوات : -

فبعد أن يقر بعدم تكرار لام الكلمة لأنها موضع الحذف والإعلال ، يعود على ما قاله ، ويرى أنهم كرروا اللام ، وبلاغة تكرار اللام هنا مضادة لتكرار العين ، فليست للتوكيد مثلها وإنما التكرار هنا جاء للمبالغة وإفادة وتقوية المعنى "وأتبعوا اللام في باب المبالغة، العين ، مثل قولك : اخلولق ، صمحمح وذلك لأن اللام بالعين أشبه ، وإن كانت العين أقوي ، وليس الغرض ههنا التوكيد والتكرير وإنما المبالغة وإفادة المعنى الذي توفروا عليه " [٣] .

---

[١] انظر : الفوائد المشوق – ابن قيم الجوزية – تصحيح السيد محمد بدر الدين – القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ صفحة ٢١٨، الطراز ٢١٥/٣ – ٢٢٦ ، بديع القرآن ، لابن أبى الأصبع – تحقيق د/ حفني محمد شرف – نهضة مصر سنة ١٩٥٧ م ص ١٩٣ ، إعجاز القرآن – مصطفى صادق الرافعي – المكتبة التجارية سنة ١٩٦٩ م ص ٢٤٤ – ٢٧٧ .

[٢] الخصائص ٢٠٤/٢.

[٣] المصدر نفسه ٢ / ١٥٨ .

إطناب بالترادف : -

وذلك لقولهم للقطعة من المسك : الصوار ، فقولهم إذا : مسك يلاقي معناها معني الصوار ، وذلك من قول الشاعر :-

إذا تقوم يضوع المسك أصورة والعنبر الورد من أردانها شَمِلُ [٤]

التعليل المنطقي الديالكتيكى في هذا النوع من الإطناب: -

ونراه يعلل ذلك تعليلا منطقيا فلسفيا عقلانيا ، إذ يقول "إن المعني واحد لأنهما يجذبان حاسة الشم ولا يعدل صاحبهما عنهما، لطيب الرائحة وجمال العبير، فكأن الحاسة أصبحت وقفا عليهما دون سواهما"[١].

العرب تستقبح الترادف إلا اذا كان مضمرا : -

وهو رأي عجيب فريد من نوعه ، ذلك المتمثل في إعاده الاسم المظهر في لفظه ولا يرون إعادة المرادف له حسنا فإن لم يكن مظهرا ، فليكن مضمرا ، وذلك في تناوله لقول القائل:-

إذا المرءُ لم يخش الكريهة أوشكتْ حبال الهويني بالفتى أن تقطَّعا

فإعاده الثاني مظهرا لغير لفظه الأول – المرء ، الفتى – عندهم قبيح ، وإنما سيبيله أن يأتي مضمرا ، نحو زيد مررت به ، فإن لم يأت مضمرا – حبال الهويني به بدل من الفتى – وجاء مظهرا ، فأجود ذلك أن يعاد لفظه الأول ألبتة – أي المرء – فنقول : زيد مررت بزيد، وكذلك كقول الشاعر :-

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغني والفقيرا

---

[٤] المصدر نفسه ٢/ ١١٩.

[١] الخصائص ٢/ ١٢٠.

فهم يستحسنون إعادة (الموت) بلفظه، وكذلك قوله تعالى **(الْحَاقَّةُ ◆ مَا الْحَاقَّةُ)**[٢] وقوله تعالى**(الْقَارِعَةُ ◆ مَا الْقَارِعَةُ)**[٣] وهم لا يجيزون ذكر الشخص وكنيته كقولك " زيد مررت بأبي محمد " كنيته أبو محمد لأنه لم يعد على الأول ضميره ولا عاد عليه بلفظه"[٤] فهذا مارأته العرب ونقل ذلك عنه .

ابن جنى يري خلاف ما ارتآه الأقدمون ويمتدح الترادف : -

فهو يرى خلاف ذلك، يرى أن الترادف بهذه المخالفة – مخالفة الاسم الظاهر الثاني للأول – قد عاد فصار بالتأويل حسنا "وسببهما جميعا واحد ، وهو وجه المخالفة في الثاني للأول" [١].

لذا يمتدح قول الشاعر:-

إذا المرءُ لم يخشى الكريهة أوشكتْ حبال الهويني بالفتى أن تقطّعا

حيث إنه لم يقل (بالمرء) وإنما قال بالفتى [٢].

وهنـــاك تـــرادف أيضـــا في معـــاني الحـــروف ووظائفها (مـا ، لا ، إن) للنفـي (أم ، كيف ، هل) للاستفهام و(إن ، لا ، نون) للتوكيد، وهكذا .

وهناك الترادف الوظيفي وذلك في الأثر النحوي : -

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

---

[٢] الحاقة : ١،٢ .

[٣] القارعة ١،٢ .

[٤] الخصائص ٣/٥٥-٥٦ ، ذلك رأي سيبويه، انظر الكتاب ١/٣٠.

[١] الخصائص ٣/٥٦.

[٢] المصدر نفسه الصفحه نفسها.

فالحرب قد تكون مجرورة بـ (بؤس) وقد تكون مجرورة لوجود اللام ودخولها عليها وهذا أقوى[٣] ويقول عن الترادف حيث يثني عليه " هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة ، قوي الدلالة علي شرف هذه اللغة وذلك أنك تجد للمعني الواحد أسماء كثيرة "[٤].

٣ - إطناب بالتذييل : -

والتذييل هو ما يأتي آخر الكلام ويكون غرضه التوكيد لا غير، والتذييل "في علم المعاني : تعقيب جملة بأخرى تشتمل علي معناها تأكيدا لها ، وهو نوع من الإطناب ، وهو ضربان : ضرب أخرج مخرج المثل ، وضرب لم يخرج مخرج المثل " [١].

التذييل عند ابن جنى: -

لم يعرفه ابن جنى ولكنه ذكره ضمنا ويتوفر عنده النوعان :-

أولا : التذييل الجاري مجرى المثل: -

وقد ذكره في تعقيبه على البيت القائل:-

تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زادا

---

[٣] الخصائص ١٠٨/٣.

[٤] المصدر نفسه ١١٥/٢ وذلك (باب في تلاقي المعاني علي اختلاف الأصول والمباني) .

[١] الإيضاح ص ٢٠٠ وانظر الطراز ١١١/٣.

فزاد "الزاد في آخر البيت توكيد لا غير" [٢] والمثل (فنعم الزاد زاد أبيك زاد) وكذلك قول القائل:-

شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا فينا وليس كغائب من يشهد

والتذييل بالمثل (وليس كغائب من يشهد)[٣]

ويقول عن التذييل الجاري مجرى المثل " ومن التطوع – الإطناب – المشام للتوكيد قولهم : مضى أمس الدابر ، وأمس المدبر ، وهو كثير ، وأنشد الأصمعى:-

وأبي الذي ترك الملوك وجمعهم بصهاب هامدة كأمس الدابر

وأمس الدابر : مثل يضرب لمن هزم شر هزيمة "[٤].

وهذا النوع من التذييل مستقل بمعناه ويمكن الاستغناء عما قبله ، حيث يمكن القول: أمس الدابر، وليس الغائب كمن شهد، دونما الالتفاف للسابق ذكره .

ثانيا : التذييل غير الجاري مجرى المثل: -

---

[٢] الخصائص ٨٤/١.

[٣] المصدر نفسه ٢٦٩/٢.

[٤] المصدر نفسه ٢٦٩/٢.

وهو غير مستقل بمعناه، يقول معقبا علي الآية القرآنية " **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّه** " [1] يقول " فمرروها يدل على صنع الله، فكأنه قال صنع الله ذلك صنعا وأضاف المصدر إلى فاعله"[2].

بلاغة التذييل عند ابن جنى: -

فلولا هذه "الأغراض ، التوكيد والإدلال والثقه بمحصول الحال لتعرى الجزء الآخر من زيادة الفائدة علي الجزء الأول" [3].

فبلاغة التذييل عنده ما هي إلا التوكيد والثقه بالكلام الذي يقال وتوضيح المعنى وإزاله الغموض واللبس .

وملاك الأمر أن التذييل في الكلام "موقع جليل، ومكان شريف، خطير ، لأن المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحا ، وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعني بعينه حتى يظهر لمن يفهمه ويتوكد عند من فهمه " [4] .

٤ - الاحتراس : مفهومه وبلاغته عند البلاغيين وابن جنى: -

هو عند بعض البلاغيين (المنقذ) ، لأنه لولاه لفهم الكلام على غير مراده ومقصوده ، وهو عند الجاحظ (إصابة المقدار) [5] وهو عند ابن سنان الخفاجى (التحرز مما

---

[1] النمل : ٨٨.

[2] الخصائص ٧٤/٢.

[3] المصدر نفسه ٣٤١/٣

[4] الصناعتين – أبو هلال العسكري – تحقيق محمد علي البجاوي – محمد أبو الفضل – ط عيسى الحلبي سنة ١٩٥٢م ص ٣٦٤.

[5] البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – الخانجي مصر ١٩٦٨ م ٢٨٨/١.

يوجب الطعن) "أن المتكلم يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن فيأتي بما يتحرز به من ذلك الطعن" [١] .

وهو عند ابن جنى (التقيد) ونراه مناسبا وملائما وموائما للمصطلحات السابقة واللاحقة عليه ، ويدور في دورانها ويلف لفها ، وذلك لأن المتكلم يلقي بالكلام ويقيده، لئلا يفهم علي غير وجهته الصحيحة المرجوة منها.

يقول معلقا على هذين البيتين :-

ولما قضينا من مني كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

فقد "ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه ، فإن كان قدر الحديث – مر سلا – عندهم هذا على ما يرى فكيف به إذا قيده بقوله (بأطراف الحديث) ألا ترى أنه يريد بأطرافها ، ما يتعاطاه المحبون وذوو الصبابة المتيمون ، وإذا كان ذلك فمعني هذين البيتين أعلى عندهم وأشد تقدما في نفوسهم من لفظهما وإن عذب موقعهم وأنق له مستمعه " [٢] وعلى هذا فبلاغة الاحتراس تتمثل في الفهم الصحيح وعدم الوقوع في خطأ الفهم ، ومعرفة مقصد الأديب بوضوح دون لبس.

٥ – الاعتراض عند البلاغيين: -

---

[١] سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي ص ٣٢٢.

[٢] الخصائص ١/٢٢٠ .

من الجدير بالذكر أنه يمكن القول بأن الاعتراض ضرب من الإطناب لأنه زياده في الكلام لغرض بلاغي ما ، إذ هو " اعتراض كلام في كلام لم يتم ، ثم يرجع إليه فيتمه " [٣] .

فبلاغة الاعتراض علي ضوء الكلام سالف الذكر هو تمام المعنى ، ولكن دونما شروط ، وهو عند السكاكي من وجوه تحسين الكلام ، وحلية لفظية لا غير، وهو عنده حشو، **ويقسمه قسمين :** "قسم راجع إلى المعني ، وقسم راجع إلى اللفظ وقد يتم المعنى بدونه فلا فائدة ترجى منه ، وهو لا يكاد يفرق بين الاحتراس والاعتراض ، عند تناوله هذا البيت:-

فسقى ديارك – غير مفسدها – صوب الربيع وديمة تهمي

فجعل غير مفسدها ، اعتراض ، وهي احتراس" [١] .

هناك من يزعم أن البلاغه لم تقعد زمن السكاكي : -

فالغريب كل الغرابة والسقطة التي لا قيام بعدها أن هناك من يزعم بأن له عذره في ذلك ، فلم تكن الحدود الفاصلة بين علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع قد اتضحت بعد[٢] يقال هذا عن السكاكي الذي قعد هو علوم البلاغة بنفسه [٣] " إن السكاكي حصر علوم البلاغة في علمي المعاني والبيان ".

---

[٣] الصناعتين ص ٤٤١.

[١] أنظر : مفتاح العلوم – السكاكى – بيروت – دار الكتب العلمية سنة ١٩٣٧م ص ٤٢٣ – ٤٢٨، وانظر سر الفصاحة ص ١٣٧ – ١٣٨.

[٢] مجلة كلية اللغة العربية – المنصورة – العدد الثاني عشر سنة ١٩٩٣ م من مقال الدكتور / ابراهيم السيد محمد الرفاعي بعنوان (من بلاغة الاعتراض) ص ١٧٠.

[٣] أثر النحاة صفحة ٤٢٢.

وهو عند ابن رشيق باسم (الالتفات) [٤] ولا فائدة منه ترجى عند ابن الاثير فوجوده وعدمه سواء [٥] أولئك من تحدثوا عن الاعتراض ونسجوا حوله آراءهم.

الاعتراض عند ابن جني وشروطه : -

هو شأن آخر ، إذ هو " أن يؤتي في أثناء الكلام أو بين كلا مين منفصلين معني بجملة أو أكثر لا موضع لها من الإعراب ، لغرض التوكيد وهو كثير جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام فلذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يعترض بين الفعل وفاعله والمبدأ وخبره ، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذا أو متأولا [١] لعمري ، إن ما قاله ابن جني لجديد كل الجدة في موقعه غير مسبوق في زمانه بل إن اللاحقين عليه اقتبسوه اقتباسا ، وليتهم فعلوا جميعا بدلا من الشطط الذي تملكهم واستبد بهم ، حتي وصل الأمر ببعضهم أن يجعلوه سقط متاع ، يقول صاحب شروح التلخيص" الاعتراض أن يؤتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصليين معني بجملة أو أكثر ، لا محل لها من الإعراب لنكتة بلاغية"[٢].

لو وضعتا هذا الكلام بإزاء كلام ابن جني لوجدناه واحدا لابون بينهما بل إن ابن جني يمتاز ويتميز بأن ذكر بلاغته نقيض صاحب شروح التلخيص الذي غض الطرق عن إيضاح تلك البلاغة.

حد الاعتراض عند ابن جني يتمثل في : -

---

[٤] العمدة – ابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – القاهرة سنة ١٩٦٨ م . ٢ / ٤٦

[٥] المثل السائر ٣/٤٠-٤١.

[١] الخصائص ١/ ٣٣٨.

[٢] شروح التلخيص سعد الدين التفتازاني – الحلبي – القاهرة سنة ١٩٣٧م ٣/٢٣٧.

ألا يكون له محل إعرابي ، وأن يكون مستقلا عن سياق الكلام ، وليس جزءا منه ، فهو جاء تتمة فقط ، ويأتي متأولا .

بلاغة الاعتراض عند ابن جني تتمثل في : التأكيد وإتمام الكلا م ومعناه، وأيضا التعظيم .

موقع الاعتراض عند ابن جني : -

يأتي في وسط الكلام فلا يأتي في بدايته ولا في أطرافه ولا تذييلا ، وهذا مفهوم من قوله بأن يعترض بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره ، وهو بذلك يناهض من سوغ إتيانه آخر الكلام"[1] ويمكن أن يكون في الكلام أكثر من اعتراض وذلك حين تناول قوله تعالي " **فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيم** " [2] .

ففى قوله تعالي (**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**)، اعتراض بين القسم وجوابه وفي نفس هذا الاعتراض ، اعتراض آخر وهو قوله (**لَّوْ تَعْلَمُونَ**) فذلك اعتراضان وغرضهما البلاغي التعظيم وقد نقل هذا الكلام بفصه ونصه ابن القيم[3].

ابن جنى أكثر دقة من ابن الأيثر: -

وعلي الرغم من أن ابن جنى يسبق ابن الأيثر بكثير إلا أنه أكثر دقة في معرفة الاعتراض، حيث يعلق على قول القائل :-

ذاك الذي – وأبيك – تعرف مالك والحقُّ يدفع تُرَّهات الباطل

---

[1] انظر: الكشاف – للزمخشري – دار الكتاب العربي – بيروت سنة ١٩٥٤م ، ٣٠١/١، وروح المعاني للآلوسي ١٥٤/٥.

[2] الواقعة : ٧٥-٧٧.

[3] انظر : الفوائد المشوق ص ٧٥.

فقوله – وأبيك – اعتراض ، بينما لا يرى ابن الأثير ذلك .

وابن جني لا يري في قول القائل:-

كأن – وقد أتى حول جديد- أثا فيها حمامات مُثول[٤]

اعتراضا لأن قوله : وقد أتي حول جديد ، ذو موضع من الإعراب ، الاعتراض لا محل له من الإعراب لذا كان ابن جني أكثر فطنة من ابن الأثير ، إذ رأي أن الاعتراض لا محل له من الإعراب ، والجمل التي لا محل لها من الإعراب ليست من الاعتراض [٥].

ومن بلاغة الاعتراض إظهار الرحمة والشفقة والرفق، ومن ذلك قول الشاعر :-

أراني – ولا كفران لله أيّة لنفسي – لقد طالبت غير مُنيل

ففي هذا اعتراضان أحدهما (ولا كفران لله) والآخر قوله (أيّة) أي أويت لنفسي ، معناه رحمهما ورفقت لها ، ولا موضع لهما من الإعراب [١] ومن بلاغة الاعتراض أيضا عند ابن جني- وذلك بين اسم إن وخبرها ، والمبتدأ والخبر – القسم والتوكيد ، كقولك: زيد – ولا أقول إلا حقا – كريم [٢] وأيضا في قوله تعالى **(هَـذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسّاقٌ)** [٣] .

---

[٤] انظر : الخصائص ٣٣٧/١ – ٣٣٨ ، وانظر: المثل السائر ٤٧/٣.

[٥] انظر: من بلاغة الاعتراض صفحة ١٧٦.

[١] انظر: الخصائص ٣٣٩/١.

[٢] انظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٣] سورة (ص) : ٥٧.

اعتراض بقوله (**فَلْيَذُوقُوهُ**) وهو للقسم [٤] .

وقول كثير :- وإني وتهْيامي بعزة بعدماتخليت مما بيننا وتخلَّت

فقلت لأبي علي الفارسى : أيجوز أن يكون وتهيامي بعزة قسما ؟

فأجاز ذلك ولم يدفعه ، فيكون غرض الاعتراض هنا القسم [٥] .

الاعتراض والجانب السيكولوجي : -

ويطل علينا بتحليله النفسي عند تعليقه على هذا البيت :-

تقول ابنتي لما رأتني شاحبا كأنك فينا - يا أبات - غريب

فالاعتراض "هنا - يا أبات - لغرض نفسي ، إنه الائتناس بمعنى إرادة الإضافه فلولا أنسه بالإضافة ، لما اعترض هنا"[٦]، لقد أصبح الاعتراض بمثابة الأنيس الذي يركن إليه الإنسان ويخلد إليه فهو كالضيف الكريم يطل ثم يرحل من غير تعب ووكد ويدل علي قوة نفسه وعنفوان شكيمته ، وهو دال علي فصاحة المتكلم ، وهو "كثير في شعر المحدثين ، ولا سيما شعر إبراهيم بن المهدي وهو حسن مقبول ليس بمستكره"[١] .

البلاغة الصوتية والاعتراض : -

---

[٤] انظر: الخصائص ١/ ٣٤١.

[٥] انظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٦] المصدر نفسه ١/ ٣٤٠.

[١] الخصائص ٣٤٢/١.

الاعتراض دال علي وضوح البلاغة الصوتية لا محالة لأن فيه (امتداد النفس) [٢] وذلك الانتشار العريض للمقطع الصوتي وهذا الاسترخاء النغمي من حيث المط والتطويل وانبساط الأحبال الصوتية وما يصحب ذلك من هدوء نفسي واتزان فعلي .

٦ - ذكر الخاص بعد العام : -

أي : ذكر الفرع بعد الأصل ، الجزء بعد الكل ، للتركيز عليه، إنه تفصيل بعد إجمال .

بلاغة ذكر الخاص بعد العام عند ابن جني: -

وتتمثل في قوة العناية والاهتمام والتعظيم حيث يقول الشاعر:-

إن الذئاب قد اخضَّرت براثنها والناس كلهم بكرا إذا شبعوا

فقوله : والناس كلهم بكر ، خاص بعد عام[٣] .

وقد تكون للتناهي والغلو ، يقول في ذلك معقبا علي قول القائل:-

فلا تحسبا هندا لها العذر وحدها سجيَّة نفس كلُّ غانية هند

فقوله (كل غانية هند) متناه في معناه ، وآخذ لأقصى مداه [٤] .

وقد تكون تلك البلاغة للإيجاز والاختصار إذا قدرنا محذوفا : كل غانية غادرة أو قاطعة أو خائنة أو نحو ذلك[١] وقد تكون بلاغة ذكر الخاص بعد العام للعموم والشمول والكثرة كما في قوله تعالى **(وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)** [٢] .

---

[٢] المصدر نفسه ٣٤٣/١.

[٣] انظر: المصدر نفسه ٢٧٤/٣.

[٤] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

حد ذكر الخاص بعد العام: -

هو أن يضيف ذلك الخاص معنى جديدا ، لا يكون لغوا لا غناء فيه فهو بمنزلة الخبر ، والخبر يتمم المعني ويستفاد منه ، فلا يكون الاثنان وجهين لعملة واحدة ، فكأنه توكيد لفظي " فمن "المحال قولك: أحق الناس بمال أبيه ابنه ، ذلك لأن الأبوة قد انطوت علي البنوة ، فكأنك قلت أحق الناس بمال أبيه أحق الناس بمال أبيه فجرى ذلك مجرى : زيد زيد ، والقائم القائم ، وليس ذلك على عقد الإخبار، لذلك لا يجيز عطف الخاص على الخاص ناكح الجارية واطئها ، ولا رب الجارية مالكها" [٣] .

٧ - ذكر العام بعد الخاص: -

ويكون لنكتة بلاغية، هي المبالغة والمفاضلة ، وهو يحده بحد ، ذلك أن يكون الخاص والعام من جنس واحد ، فيجوز "قولك : الياقوت أنفس الأحجار ولا يجوز قولك الياقوت أنفس الطعام ، ذلك لأنهما ليس من جنس واحد ، وكذلك قولك : هذا ثوب خز لأن الجنس واحد" [٤] .

ابن جنى يرى جواز وضع الخاص موضع العام والعكس: -

حيث يعلق على البيت القائل :-

لدْن بهزِّ الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

---

[١] الخصائص ٣/٢٧٤ .

[٢] مريم : ٩٥.

[٣] الخصائص ٣/٣٣٩.

[٤] المصدر نفسه ٣/٣٣٦-٣٣٧.

وذلك أن الطريق خاص وضع موضع العام ، وذلك أن وضع هذا أن يقال كما عسل أمامه الثعلب ، وذلك الأمام قد كان يصلح لأشياء من الأماكن كثيرة من طريق وعسف وغيرهما فوضع الطريق موضع الأمام[١] .

ابن جنى يرى أن (الواو) وضعت موضع الخاص: -

فهو يرى أن الواو للعموم وذلك "نحو : جاء زيد وبكر ، قالوا وهنا تصلح لعموم الأوقات الثلاثة معا فربما جاءا ، وربما جاء زيد قبل بكر أو بكر قبل زيد ولكنك في قولك اختصم زيد وعمرو فهذا لا يكون إلا في وقت واحد ، وبذلك تنتقل الواو من عموم الأزمنة إلى خصوصها"[٢].

ابن جنى يفرق بين الخاص والعام : -

وذلك عندما يؤكد على أن الخاص بدل بعض من كل وأنه جزء من العام ولابد أن يكون أقل وأصغر منه ، لذا يصح قولك سرت من بغداد إلى البصرة نهر الديْر ، لأن نهر الدْير بعض طريق البصرة ، ولا يصح قولك : سرت من بغداد إلى البصرة نهر الأمير ، ذلك لأن نهر الأمير أطول من طريق البصرة فهو ليس كالمثال السابق[٣] .

٨ - الإيغال: -

---

[١] انظر: الخصائص ٣/٣٣٦ – ٣٣٧.

[٢] انظر: المصدر نفسه ٣/٣٣٧.

[٣] انظر: انظر المصدر نفسه ٣/٢٧٩.

عرفه اللاحقون من البلاغيين بقولهم " هو أن تستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم تأتي بالمقطع فتزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا " [١] .

بلاغة الإيغال عند ابن جنى: -

تشمل المبالغة والبلوغ والإمعان في المعنى وذلك في حديثه عن تأنيث المذكر مثل قولك : " قامت الرجال وتكسير المؤنث وتحويله إلى المذكر مثل سدر مفرد سدرة ، قصاع مفرد قصعة، ظلم مفرد ظلمة ، وعودة الفرع الذي هو التأنيث إلى الأصل الذي هو التذكير وذلك للإيغال والتناهي في الصفة" [٢] ولا جرم أن ما ذكره ابن جنى في هذا الصدد هو عينه ما تواضع عليه البلاغيون فيما بعد .

٩ - الإبهام والتفسير: -

ما فتئ ابن جني يتناول هذا النوع ويخصه بالذكر كسبيل من سبل الإطناب ولعل سائلا يسأل لم يبهم ويغمض ويلبس ثم يفسر ويوضح ويفصل ؟!! نقول إن في ذلك لبلاغة ، من جذب الانتباه والتشويق والإثاره والحث على مواصلة قراءة العمل الأدبي، حتى يعرف كنهه ويخبر عمقه ويسبر غوره ، فهو يفيد " الكلام بلاغة ويكسبه إعجابا وفخامة ، لأن السامع يذهب فيه كل مذهب وتفخيم الأمر وتعظيم شأنه ، لأنه يوقع السامع في حيرة وتفكر، والاستعظام لما قرع سمعه ، فلا تزال نفسه تنزع إليه وتشتاق الى معرفته والاطلاع على حقيقته"[٣].

ابن جنى يميز بين الإبهام والتفسير: -

---

[١] الصناعتين صفحة ٣٩٥ ، انظر الطراز ١٢٠/٣- الإيضاح ص ٢٠٠.

[٢] الخصائص ٢٤٥/٣ ، ٦٠/١.

[٣] الطراز ٧٨/٢.

فهو يخص (القول) بالإبهام ، لأنه محتاج إلى تفسير ، ويصف (الكلام) بالمفسر لأنه غير مبهم ، تام موضح بنفسه ، ويتناول ذلك في تصريفه لكلمة (ع . ج . م) فمعنى عجم " الإبهام الذي هو ضد البيان ومن ذلك العجم ، لأنهم لا يفصحون ، وسميت البهيمة بالعجماء ، لأنها لا تفصح عما في نفسها وقيل لصلاة الظهر والعصر العجماوان ، لأنه لا يفصح فيهما بالقراءة وهذا كله على ما تراه من الاستبهام وضد البيان، ومن ذلك استعجمت الدار ، إذا لم تجب سائلها" [١] وهكذا يتضح لنا مفهوم الإبهام والاستبهام وهو عدم الوضوح وعدم التفسير وعدم الاستبيان والبيان وهو عينه ما أخذ به صاحب الطراز [٢] .

الإبهام والتفسير درجات عند ابن جنى: -

وذلك عندما " يسألك إنسان أي شيء عندك ؟ فهذا السؤال يحتمل أن يقصد سائله أعلاما أم صفات فتجيب بنكرة غاية في الإبهام ، فتقول : جسم ، ألا ترى أنه قد يجوز أن يستفصلك بين أن يكون عندك علم أو قراءة أو جود أو شجاعة وأن يكون عندك جسم ما ، فإذا قلت جسم ، فإنك وإن قد فصلت بين المعنيين فإنه مبالغ في إبهامه فإن تطوعت شيئا قلت : حيوان لأن حيوانا أخص من جسم كما أن جسما أخص من شيء فإن تطوع شيئا آخر في جواب أي شيء عندك قلت: إنسان لأنه أخص من حيوان ألا تراك تقول : كل إنسان حيوان ، وليس كل حيوان إنسان كما تقول كل إنسان جسم وليس كل جسم إنسان ، فإن تطوع في شيء آخر قال : رجل ، فإن زاد في التطوع شيئا آخر قال: رجل عاقل أو نحو ذلك فإن تطوع شيئا آخر قال : زيد أو عمرو "[١].

---

[١] الخصائص ٣/٧٨.

[٢] انظر: الطراز ٢/٧٨ حيث يقول: الإبهام عدم الوضوح.

[١] الخصائص ٢/٢٦٧.

والذي يعنينا من النص سالف الذكر – على طوله – أن النكرة دالة على الإبهام والإبهام درجات : فهو مبهم ، غاية في الإبهام ، مبالغ في إبهامه، وليس معنى إجابتك على سؤال ما، التوضيح والتفسير وشرح هذا الإبهام المتمثل في ذلك الإبهام ، ألم تسمع قولهم : فسر الماء بالماء ، فقد تكون إجابتك في منتهى الإبهام كالمثال السابق ، ثم تدرج في الإبهام – لا التفسير – حتى تصل منتهاه ثم لم تلبث أن تفسر هذا المبهم وتخصصه ، فالخاص توضيح العام والجزء تفسير الكل والشياع، والعَلم تفسير وتفصيل وتقييد للنكرة .

فالإبهام والتفسير ما هو إلا حديثك عن العام والخاص ، الكل والجزء ، النكرة والمعرفة والتفسير عنده – دائما – مقترن بضمير الشأن أو القصة : كما يسميه حيث يقول في تفسير الآية القرآنية **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)**[٢] وكذا قوله تعالى **(فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَار)**[٣].

فقوله : **(اللَّهُ أَحَدٌ)** "تفسير لضمير الشأن هو ، المرفوع بالابتداء، قوله **(لا تَعْمَى الأَبْصَار)**، تفسير لـ(ها) من قوله : فإنها"[٤] وشرط الإضمار عنده، التفسير وعين هذا الكلام هو ما أقر به عبد القاهر الجرجاني دونما أدنى إشاره لذلك[٥] .

---

[٢] الإخلاص ١،٢.

[٣] الحج ٤٦.

[٤] الخصائص ١٠٥/١ ، ١٠٦ ،٢٦٣/٣ ، ١١٣/٢ ، وضمير الشأن لا يعطف عليه ولا يوصف ولا يبدل منه ولا يؤكد لأنه ضعيف مفتقر إلى مفسره ، انظر الخصائص ١٠٧/١.

[٥] انظر: الخصائص ٣٩٩/٢ ، حيث يقول ابن جني : والضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده، وانظر: دلائل الإعجاز ص ١٥٥ – ٣١٧ – ٣١٨ حيث يقول عبد القاهر الجرجاني ذات= =الكلام، الإضمار يكون قبل التفسير ولا دهشة في ذلك ، فجل آراء ابن جنى اهتبلها عبد القاهر غير إن الدكتور/ محمد بركة في كتابه مستتبعات التراكيب يخالف ذلك ، فيرى أن التفسير يأتي قبل

ابن جنى يرى جواز تقديم المفسر على المضمر: -

وذلك في تناوله في البيت القائل:-

فليست خراسان التي كان خالد بها أسد إذ كان سيفا أميرها

ففيه أن (خالد) أحد جزئي الجملة المفسرة للضمير على شريطة التفسير وهذا الضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده ، فقد ترى "كيف قدرت تقديم أحد الجزأين اللذين يفسرانها عليها "[١] .

بلاغة الإبهام في فاعل نعم وبئس عند ابن جنى: -

ففاعل نعم وبئس " ضمير مبهم في قولنا بئس رجلا المنافق وهذا التمييز (رجلا) مبهم ، فكل ذلك يثير تطلع النفس ويلفتها إلى المبالغة في المدح أو الذم لما سيأتي " [٢] .

ابن الأثير يغير ويسلب آراء ابن جنى في ذلك: -

الضمير ، بعد ذكر ما يعود عليه ، إذ الضمير يغني عن التكرار الظاهر،انظر: مستتبعات التراكيب ص ٨١ وما بعدها ويقول عن ضمير الشأن " ولولا هذا الضمير لافتقدنا هذه القوة التي تحسها النفس حين ألقى في روعها أن ما سيأتي له خطر عظيم وأهمية كبيرة " مستتبعات التراكيب ص ٨٢.

[١] الخصائص ٣٩٩/٢.

[٢] المصدر نفسه ٣٩٦/١ ، ٢٧٤/٣.

حيث يعقب على ذلك " إن هذا النوع لا يعمد إلى استعماله إلا لضرب من المبالغة ، فإذا جيء به في كلام فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم وإعظامه ، لأنه هو الذي يطرق السمع أولا، فيذهب بالسامع كل مذهب" [٣].

الجانب النفسي في الإبهام والتفسير: -

ذلك لأن الهالة التي تحوم حول المبهم تجعل النفس في لهفة وولع ووله لمعرفته واللهث وراءه والمضي في الاطلاع وتعقبه حتى تسكن النفس ويقر قرارها، فهي مشوقة مفتونة بالمبهم ، ويتهيأ ذهن المتلقي ويستشعر عظمة ما سيلقى إليه وحينئذا يفرح أيما فرح .

١٠ - الإتمام والإكمال عند البلاغيين: -

والتتميم " يقال في شيء نقص ثم تمم بغيره " [١] والإكمال " يقال في التام الذي لم ينقص منه شيء خلا أنه أكمل بغيره " [٢] .

الإتمام والإكمال عند ابن جنى: -

أولا : الإتمام: -

يتناول ذلك ابن جنى في حديثه عن الفرق بين الكلام والقول قائلا " التمام هو كل كلام مستقل بنفسه مستغن عما سواه مفيد لمعناه ، غان عن غيره " [٣] بينما القول

---

[٣] المثل السائر ١٩٠/٢.

[١] الطراز ١٠٩/٣ وانظر الصناعتين ص ٣٨٩ ، الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث – القاهرة سنة ١٩٨٥م ٢٢١/٣.

[٢] الطراز ١١٠/٣.

[٣] الخصائص ٢٠/١.

هو " كل كلام ناقص غير مستغن وغير مستقل بنفسه " [٤] فالكلام ألفاظ قائمة بنفسها تامة غير محتاجة لغيرها ، بينما القول ألفاظ غير قائمة بنفسها غير مستقلة ، أصابها النقصان والعوار ، والكلام التام هو المفيد لأنه يفيد المعنى ويوضح الصورة للمتلقي [٥] والناقص غير مفيد لأنه محتاج إلى توضيح وتفسير.

ثانيا : الإكمال من منظور ابن جنى: -

والإكمال يأتي عنده بعد الإتمام حيث يقول " (ك م ل) من ذلك كمل الشيء وكمُل وكمِل ، فهو كامل و كميل ، وعليه بقية تصرفه والتقاؤهما – أي الإتمام والإكمال – أن الشيء إذا تم وكمل كان حينئذ أقوى وأشد منه إذا كان ناقصا غير كامل " [١] ، وواضح من كلام البلاغيين السابقين أنه ترداد لابن جنى ، وإن كان يعوزه الدقة .

ابن جنى له قصب السبق في التمييز بين الإتمام والإكمال: -

فإذا كان صاحب الطراز المتوفي في منتصف القرن الثامن الهجري ت ٧٤٩ هـ قد أوضح أن الإكمال يأتي بعد الإتمام فقد سبقه إلى ذلك ابن جنى بقرون وآماد طوال حينما قرر (أن الشيء إذا تم وكمل) فالإكمال يأتي عنده بعد الإتمام ، وهو غير مسبوق بذلك ، بل إن أحدا لم يتكلم قبله في ذلك ، وإذا تكلم أبو هلال العسكري

---

[٤] المصدر نفسه ، الصفحه نفسها .

[٥] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[١] الخصائص ١٦/١.

المعاصر له عن ذلك ، فقد مزج بينهما دونما أدنى تمييز حين قال " إن التتميم والتكميل أن توفي المعنى حقه من الجودة " [٢] هكذا غفلا ساذجا.

ابن جنى يمتدح الإكمال: -

وذلك من قوله " إن الشيء إذا تم وكمل كان حينئذ أقوى و أشد منه إذا كان ناقصا غير كامل" ، فهو يرى أن الإكمال أقوى في المعنى وأشد وآكد عما إذا كان ناقصا .

الجانب الفكري والنفسي في الإتمام و الإكمال: -

وذلك عندما يؤكد أن الحديث الناقص يسمى (قولا) ويرى مشتقات كلمة (قول) باعتبارها الدليل على النقصان ، يرى أن أولها حرف متحرك قوي ، حيث يهيئ الإنسان نفسه لما سيقال وينشط بكل جوارحه ويزيد إنصاتا ثم تتوالى الحروف الساكنة ، والسكون من السكوت ، فتثبط همته وتضعف قوته وتخور عندما لا يجد طائلا ولا غناء ، كما أن (القول) من (القلو) وهو الحمار الوحشي ، الخفيف السريع الطائش[١] فهكذا القول الناقص غير التام ، يمر على الأذن سريعا ، لا يستقر في النفس ولا يعلق بها ، لأنه لم يترك أثرا ، ولم يخلق شيئا ، فهو غير مفهوم ، غير واضح ، كأنه لم يقال ، ولم يكن شيئا مذكورا فالناس لم تعره انتباها لأنه كالطائش.

أما الإتمام والإكمال ، فصورته وصيغته المعبرة عن ذلك في (الكلام) وهو من (الكلم) الذي "بمعنى الشدة والقوة ، فأخرج الكلام هنا مخرج ما قد استقر في النفوس وزالت عوارض الشكوك " [٢] فالكلام لما كان تاما كاملا فهو مستقر في النفوس

---

[٢] الصناعتين ص ٤١٠.

[١] انظر : الخصائص ٥/١ وما بعدها.

[٢] المصدر نفسه ٢٠/١.

متمكن منها تعلقت وعلقت به واشتد وقوى وقر ، فلم يعد هنالك من ريب أو شك فهو مفهوم المعنى واضح المعالم والبيان .

ومهما يكن من أمر ، فإن التمام والنقصان هما الحد الفاصل في التمييز بين الكلام والقول ولذلك قالوا "القرآن كلام الله ولم يقولوا أقوال الله"[٣] ويميز أيضا بين التمام والكمال في قوله "قام محمد فهو كلام تام قام محمد وأخوك جعفر ، فهو أيضا كلام ، فالجملة الأولى ، كلام تام ، والثانية كلام كامل فهو قد كمل بغيره ، وهذا هو عينه ما أخذه صاحب الطراز عندما قال الكمال : ما أكمل بغيره فالكمال تمام فوق تمام.

المضمر والمظهر بين التمام والكمال: -

فالتمام يظهر في وضع المضمر موضع المظهر فلو قلت "زيد ضربته، لكان تاما أما لو قلت: زيد ضربت عمرا، حدث إشكال هنا" [١] فالواضح مما سبق أن الضمير مؤذن بالتمام، وخلافه مؤذن بخلاف ذلك .

الألفاظ ليست المقياس بين التمام والنقصان لكنما المعاني: -

فاللافت للنظر عند ابن جنى والمسترعي للانتباه أن ليس كل ما يأتي بعد التمام كمال ، بل ربما كان ذلك مؤذنا بنقصانه ، فالتمام والكمال ليس بزيادة الكلام كما يراها صاحب الطراز [٢] فكم من جملة قصيرة واكتمل معناها ، وكم من جملة مسهبة غاية الإسهاب نقص معناها " فقولك : زيد منطلق ، كلام مستقل تام ، فإن زاد عليه (أن)

---

[٣] المصدر نفسه ١٩/١.

[١] الخصائص ١٩٥/٢.

[٢] انظر: الطراز ١١١/٣.

المفتوحة أو (إن) المكسورة صار قولا ناقصا لا كلاما فإن قال (أن زيدا منطلق) احتاج إلي عامل ، فتقول (بلغني أن زيدا منطلق) عاد بالتمام إلى النقصان " [٣]

ويعلل ذلك منطقيا وفلسفيا قائلا : " فجماع هذا أن كل كلام مستقل زدت عليه شيئا غير معقود بغيره ولا مقتض لسواه ، فالكلام باق على تمامه قبل المزيد عليه فإن زدت عليه شيئا مقتضيا لغيره معقودا به عاد الكلام ناقصا" [٤] فالكلام ما دام تاما فهو غير محتاج لسواه ، أما إذا كان ناقصا فهو مفتقر لسواه وفي عوز إليه فقولك (زيد منطلق) أقل ألفاظا من قولك (أن زيدا منطلق) وعلى الرغم من هذا فالأول تام والثاني غير تام ، فالمعيارية ليست بالألفاظ إنما بالمعاني.

الكمال يكون للجمل دون الآحاد عند ابن جنى: -

يعلق على بيت كثير القائل :-

لو يسمعون كما سمعت كلامها خرُّوا لعزة ركعا وسجودا

فمعلوم " أن الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تحزن ولا تتملك قلب السامع ، إنما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه ، بعزوبة مستمعه ، ورقة حواشيه " [١]

وقد يبدو للقراءة الأولى هنا تناقض ما، في إنه لا يرى التمام والكمال في طول الجمل، ثم يعود مؤكدا أن التمام والكمال للجمل التوام دون الآحاد، نقول إنه يقصد الحديث عن كلام العشق والهوى والجوى وموجعات القلوب، فإن النفس ليستميلها ذلك الحديث، بل أحاديث وأحاديث، فالنفس في طلب الاستزاده دوما في تباريح الهوى، لا

---

[٣] المصدر نفسه ٢/٢٧٤.

[٤] المصدر نفسه، الصفحة نفسها ويعنون ذلك في (باب في التام يزاد عليه فيعود ناقصا، وهذا موضع ظاهره ظاهر التناقض).

[١] الخصائص ١/٢٨.

يحدها حد ولا يقف عندها حاجز، ما دام يمس أوتار القلوب التي وراءها العقول مشدودة مشدوهة مجذوبة مأسورة فهذا ذكر، وذاك ذكر فلا يداخلنك ولا يخاطبنك أدنى ريبة في ذلك .

التنوين والإضافة بين التمام والنقصان: -

فالتنوين عند ابن جنى " مؤذن بالتمام والكمال ، بينما المضاف مؤذن بالنقصان ، لأنه في حاجة إلى المضاف إليه ، فهو ناقص " [٢] .

بلاغة التمام والكمال عند ابن جنى : -

وتظهر في وضوح المعنى وتفصيله وقوته والاتساع "إن الشيء إذا تم وكمل ، كان أقوى وأشد" [٣] ويقول أيضا " وقد يقع القول موقع الكلام طلبا للاتساع وإنشادا للتمام والكمال " [٤].

الحشو عند البلاغيين : -

عرفه ابن رشيق بقوله " إن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن"[١] ويقسمه قسمين : "مذموما ومحمودا فالمذموم لا يفيد معنى والمحمود ما يفيد معنى"[٢] وهو عند ابن سنان الخفاجي قسمين أيضا : مفيد ، وغير مفيد.

---

[٢] المصدر نفسه ٢٨/١.

[٣] المصدر نفسه ٢٤٣/٣.

[٤] المصدر نفسه ٢٣/١.

[١] العمدة ٦٩/٢.

[٢] المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

المفيد هو الذي يؤثر في الكلام تأثيرا ، ولا يصح الكلام بدونه ، وغير المفيد، هو الذي لا يؤثر في الكلام فوجوده وعدمه سواء وأمثلة الحشو عنده في قول الشاعر:-

إن الثمانين – وبلغتها – قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ومحتقر الدنيا احتقار مجربا يرى كل ما فيها – وحاشاك – فانيا

فالحشو : بلغتها ، وحاشاك [٣] .

مفهوم الحشو عند البلاغيين هو الاعتراض بعينه : -

والحق الذي لا مراء فيه أن الحشو عند ابن رشيق وابن سنان الخفاجي وأبي هلال العسكري هو الاعتراض بعينه، وغرضه البلاغي هو إصلاح الوزن فقط لا غير وتناسب القوافى في الشعر أو للسجع في النثر دون أن يكون المعنى في حاجة إليه [٤].

الحشو عند عبد القاهر الجرجاني من البديع، وهو لغو، ثم يناقض نفسه : -

ويدرجه عبد القاهر ضمن ألوان البديع، وينكر وروده ، لأنه خال من الفائدة ، خال من أي عائد يرجى منه ، هوذم ولو أفاد شيئا ، لم يكن حشوا ، ولم يدع لغوا، ولكنه مع ذلك قد يكون واقعا من القبول أحسن موقع ومدركا من الرضى أجزل حظا وهو يرى أن ذلك يأتي فجأة وغفلا ونذرا يسيرا ، مثل الحسنة تأتيك من حيث لم ترقبها [١] فهو في الجملة سيء ومذموم ، ويكفيه اسمه في ذلك ولكن إن حسن بعض الشيء فهذا صدفة وضربة حظ ولم يكن مقصودا متعمدا.

---

[٣] انظر: سر الفصاحة صفحة ١٧٦.

[٤] الخصائص ٢٣/١.

[١] انظر: أسرار البلاغة ١١١/١.

الحشو عند ابن جنى وموقعه وأقسامه وبلاغته : -

أما عند ابن جنى السابق على هؤلاء جميعا، فالحشو تراوح عندهم بين الفائدة وعدم الفائدة، لقد أشار للاثنين معا وقسمه إلى: مفيد وغير مفيد وهو ما يأتي في وسط وآخر الكلام لا أوله وبداياته" وعلى هذا حشوبحروف المعاني فضنوها بكونها حشوا، وأمنوا عليها مالا يؤمن على الأطراف المعرضة للحذف والإجحاف، كألف التكسير وياء التصغير، نحو: دراهم ودريهم ، فجرت لكونها حشوا، مجرى عين الفعل المحصنة في غالب الأمر، المرفوعة عن حال الطرفين"[٢] فجملة الأمر، أن الحشو كعين الكلمة، فهو يأتي في وسطها ولا يأتي في أولها ولا آخرها، وواضح ما في الحشو عنده من بلاغة فهو محصن قوي منيع، لا يمكن الاستغناء عنه آمن من الحذف، آكد في الوجود فكما أن وسط الكلمة – وهو عينها – لا يحذف فكذا هو فهو –الحشو– يصبغ حمايته ومظلته على حروف المعاني فلا تحذف للاختصار.

بلاغة الحشو عند ابن جنى والجانب النفسي في ذلك: -

وتكمن تلك البلاغة في أن الحشو لا يلحق آخر الكلمة ، خوفا من الملل والسآمة للزيادة التي تلحق بالكلمة والاستثقال النفسي الذي يعتور الإنسان جراء ذلك الطول المتناهي ، وعدم احتمال الأمر "ويدلك على ثقل الزيادة في آخر الكلمة أنك لا تجد في ذوات الخمسة ما زيد فيه من آخره إلا الألف لخفتها، وإنما ذلك لطول ذوات الخمسة فلا ينتهي إلى آخرها، إلا وقد مُلت لطولها فإنما زيادتها في حشوها ، كراهية

---

[٢] الخصائص ١/٢٢٦.

أن ينتهي إلى آخر الكلمة على طولها ثم يتجشموا حينئذ زيادة هناك فيثقل أمرها ويتشنع عليهم تحملها، نحو عضرفوط وقرطبوس وعندليب ، هكذا" [1] .

الحشو عند ابن جنى قد يكون عيبا - الحشو غير المفيد - : -

يقول معلقا على شعر مالك بن أسماء:-

أذكر من جارتي ومجلسها طرائفا من حديثها الحسن

ومن حديث يزيدني مقة مالحديث الموموق من ثمن

فهنا إطالة وتمام وإن كان بغير حشو ولا خطل[2] فكأنه يقول إن الإطناب هنا لفائدة وتمام الكلام، وهو خال من الحشو والخطل ، والخطل عيب من عيوب الإطناب ، فقرن به الحشو فكأن الحشو والخطل سواء، ومرة أخرى نراه يقرن الحشو غير المفيد باللغط والاضطراب في الإعراب وعدم إحكام الكلام "ولو كانت هذه اللغه حشوا مكيلا، وحثوا مهيلا ، لكثر خلافها وتعادت أوصافها وكثر الخلاف والاختلاف واضطراب الإعراب، فجاء عنهم جر الفاعل ورفع المضاف إليه، والمفعول به والجزم بحروف النصب ، والنصب بحروف الجزم، بل جاء الكلام عنهم سدي غير محصل ، وغفلا من الإعراب ولاستغنى بإرساله وإهماله عن إقامة إعرابه وطرد أحكامه " [3] .

الحشو في الساكن لا المتحرك ، ثم هو يناقض نفسه : -

---

[1] الخصائص ١/٢٣٧-٢٣٨.

[2] المصدر نفسه ١/٣٢.

[3] المصدر نفسه ١/٢٤٥.

وهو هنا يناقص نفسه، حيث أقر فى الجزء الأول من كتابه أنه لا يأتى آخر الكلام [٣] فهو يكون في وسط الكلام أو آخره ، ولا يكون في أوله ، فبالتالي لا يكون في الحرف المتحرك ، " لأنه لا يصح الإتيان به أولا فكونه حشوا ، مثل كاف بكر ، عين جعفر ، ودال يدلف ، وكونه آخرا في دال قد ، لام هل" [٢] .

بلاغة الحشو منطقيا وفكريا والبلاغة الصوتية في ذلك : -

يقول " فتمكن الثلاثي ، إنما هو لقلة حروفه لعمري، ولشيء آخر ، وهو حجز الحشو الذي هو عينه ، بين فائه ولامه ، وذلك لتباينهما ولتعادي حاليهما ، ألا ترى أن المبتدأ – بداية الكلام – لا يكون إلا متحركا ، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا ، فلما تنافرت حالاهم وسَّطوا العين حاجزا بينهما لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذا فيه ومنصبا إليه"[٣] وتفسير ذلك أن فاء الكلمة متحركة واللام ساكنة فإذا كانت العين ساكنة فقد جاءت مناقضة للفاء المتحركة، فهذا يدفع الملل الذي يكتنف النفس جراء توالي سكونين متلاحقين وهي أيضا لا تشبه سكون اللام لأن سكونها خافتا ضعيفا باهتا – هذا إذا جاءت ساكنة – فهي بالتالي نقيض سكون لام الكلمة المشبع ، فهذا الانتقال بالتدرج من السكون المتضائل للحس الضعيف الجرس إلى القوي الجرس ، شديد الظهور ، لا يفجأ الحس فجآت ولا يسبب قلقا ونفورا واضطراب النفس التي تتابع هذا الانتقال ، فأنت تقول : أ ص أ ف ، أ خ ، فهذا الوقوف غير وقوفك وسط الكلام عندما تقول : يصبر ، يفتح يخرج ، فالبلاغة الصوتية هنا تختلف والصوت يقل وينزوي ولا نكاد نشعر به وهذا الإدراج والانتقال من صوت إلى صوت يستهلك جزءا منه ذلك لأن الحروف "تلحقها صويت ما بعدها ، وعند إدراجك

---

[٣] الخصائص ٢٣٨/١.

[٢] المصدر نفسه ٣٤٠/٢.

[٣] المصدر نفسه ٥٧/١.

لما بعدها ضعف ذلك الصويت لأنه إنما يقر على ما وقفت عليه ، ويسوغك إمدادك إياه به" [١] ذلك لأنه "يجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم " [٢] ولا يجري "الصوت في الساكن فإذا تحرك ، انبعث الصوت ، ثم انتهى إلى الحرف ، ثم أشبع ذلك الحرف ومطله " [٣] فالحشو من آيات حسن التأليف، ذلك "لأنه يسبب اختلاف أحوال الحروف ، ومن بلاغة الحشو أيضا أنه يأتي للاتساع ، لذلك كان آخر الكلام أولى به من أوله [٤].

ابن جنى يخالف السابقين واللاحقين ويؤكد أن الحشو قد يأتي في بداية الكلام: -

وقد يأتي في أول الكلام وهذا شاذ ، يقول معلقا على هذا البيت:-

وقدماها جنى فازددت شوقا بكاء حمامتين تجاوبان

فالأصل (وقدها جنى) "بزيادة ما ، وقد أتت في بداية الكلام" [٥].

---

[١] الخصائص ٥٩/١.

[٢] المصدر نفسه ٣/ ١٢٨.

[٣] المصدر نفسه ١٣٢/٣.

[٤] المصدر نفسه ٣١٩/١.

[٥] المصدر نفسه ٢٩١/١.

المبحث الثامن

موضوعات أخرى تتعلق بعلم المعاني تأتي

في إطار التفكير الديالكتيكي والتحليل السيكولوجي

وتشمل : -

أولا : القلب : القلب عند البلاغيين: -

عند (العلوي) من أفانين البلاغة ودال على الاقتدار في الكلام والإغراق فيه وهو **خمسة أوجه** :-

أولها : التبديل وهو عكس الكلمات في نظامها وترتيبها ، مثل كلام الملوك وملوك الكلام .

ثانيها : قلب البعض مثل : (المقلتان المقتلان) .

ثالثها : قلب الكل مثل : حتف وفتح .

رابعها : المجنح وهو أن يكون القلب في أول كلمة في البيت وآخر كلمة منه .

خامسها : المستوى وهو الذي أوله وآخره على جهة الاستواء [١].

والقلب عند (**السكاكي**) داخل في علم المعاني ، ويورث الكلام ملاحة [٢].

والقلب عند (**سيبويه**) ليس فيه نوع من الحسن أو الخلابة [٣].

---

[١] انظر: الطراز ٣/٩٤ – ٩٦.

[٢] انظر: المفتاح ١/١٠١.

[٣] انظر: الكتاب ١/٩٢.

والقلب عند (**القاضي الجرجاني**) لا نراه يعقب عليه بشيء ذي قيمة سوى القول إنه كثير في كلام العرب[٤].

وقوله هذا يشى باستحسان العرب له بدليل كثرته وأنهم لم يجدوا حرجا في ذلك .

والقلب عند (**الآمدى**) يرفضه نهائيا ويرده إلى سهو العرب وما كان للمتأخرين الإكثار منه لأنهم ما كان يجب عليهم تقليد العرب في سهوهم [١].

و(**المبرد**) يراه جائزا ، ويأتي للاختصار فهو بمثابة الإيجاز [٢].

و(**قدامة والمرزبانى**) يعتبرانه من عيوب ائتلاف المعنى مع الوزن [٣].

وعند (**ابن سنان الخفاجي**) مذموم لأنه يفسد المعنى ويصرفه عن وجهه [٤].

وقد أفرد (ابن السكيت) رسالة صغيرة له بعنوان (القلب والإبدال)[٥] جمع فيها نحو ثلاث مائة كلمة من كلمات اللغة العربية تميزت هذه الكلمات بأن كل اثنتين فيهما تعبران عن معنى واحد ، وقد أوعز ذلك وأرجعه إلى التطور الصوتي ويعتبره (أحمد ابن فارس) من سنن العرب ومن رسمهم ووسمهم في الكلام[٦].

وبعد ..... فهذه جملة لأشتات آراء عن القلب فلنلج إلى ما قاله ابن جنى عنه:-

---

[٤] انظر: الوساطه صفحة ٤٦٩.

[١] انظر: الموازنه صفحة ٢٠٧ – ٢١٠.

[٢] انظر: الكامل ٣٠٧/١.

[٣] انظر: الموشح صفحة ١٢٨.

[٤] انظر: سر الفصاحة صفحة ١٢٨.

[٥] انظر : القلب و الإبدال – لابن السكيت – دار المعارف – سنة ١٣٢٧ هـ.

[٦] انظر : الصاحبي في فقه اللغة – المؤيد – القاهرة سنة ١٩١٠ م ص ١٧٣.

القلب عند ابن جنى: -

إنه يؤمن بالقلب معتمدا على **فكرتين هما** : الأصالة ، أي إن المصدر واحد وكذا التصرف ، لذا يرى أن امضحل مقلوب اضمحل ولا يرى أن (جبذ) مقلوب جذب ، لأن جذب يجذب جذبا ، فهو جاذب والمفعول مجذوب ، جبذ يجبذ جبذا فهو جابذ والمفعول مجبوذ والمقلوب عنده جائز للضرورة الشعرية ويسميه (باب في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير) [٧].

أنواع القلب عند ابن جنى: -

١- قلب الكل مثل (اليوم اليمو) ، وذلك حين تناول قول الشاعر:-

مروان مروان أخو اليوم ايمي ليوم روع أو فعال مكرم

حيث يقول إن (ايمي) المقصود بها اليمو ، فهو مقلوب اليوم ومثله الحادي مقلوب واحد [١].

و قول الشاعر:-

وغلت بهم سجحاء جارية تهوى بهم في لجة البحر

فقوله (وغلت) أصلها توغلت [٢].

---

[٧] انظر : الخصائص ٢/٧٠ – ٧١.

[١] انظر : الخصائص ٢ / ٧٩ – ٨٠.

[٢] انظر : المصدر نفسه ٣ / ١٧٤.

٢ - قلب التبديل والعكس : -

كقول الشاعر:-

رسم دار وقفت في طلله كدت أقضي الغداة من جلله

فهو مقلوب : أي طلل دار وقفت في رسمه [٣] وكذلك قولك كالضارب زيد جعفرا، وأنت تريد: كالضارب جعفرا زيد ، وكذلك قول الشاعر:-

كذلك تيك وكالناظرات صواحبها ما يرى المسحل

مقلوب " وكالناظرات ما يرى المسحل صواحبها " [٤] .

ومنه قوله تعالى " **اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُون**"[٥].

أي : إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم .

٣ - قلب البعض : -

وذلك "مثل (أيست) مقلوب (يأست) ، (أكرهف) مقلوب (أكفهر) ، (شخم) مقلوب (خشم)"[١] وهذا أكثر الأنواع شيوعا عندهم.

الجانب النفسي في القلب عند ابن جنى وبلاغة القلب: -

ومرة أخرى يطل علينا بتحليله النفسي للقلب ، الذي ما فطن أحد له من ذي قبل ، يقول في ذلك "ومنها أن الغرض في هذا القلب ، إنما هو طلب للخفة فمتى

---

[٣] انظر : المصدر نفسه ١٥٢/٣.

[٤] انظر : المصدر نفسه ٢٦٠/٣.

[٥] النمل : ٢٨ ، انظر الخصائص ٤١٢/٢.

[١] الخصائص ٢ / ٧٦.

وجدوا طريقا أو شبهة في الإقامة عليها والتعلل بخفتها، سلكوها واهتبلوها ، لما يعقب ذلك من الاسترواح إلى القلب وكأنهم قنعوا أنفسهم بتصور القلب في الواحد لما انتقلوا عنه إلى الجمع ، ملاحظة لأحواله ، ومحافظة على أحكامه واسترواحا إلى خفة المقلوب إليه ودلالة على تمكن القلب في الواحد حتى ألحقوه بما أصله"[٢] ثم إنه يجعله من باب "الاستحسان والتصرف وليس عن علة" [٣].

وإجمال ما قاله ابن جنى يتبين لنا أن جمال القلب مرهون بالراحة النفسية التي يسببها القلب والقلب يدل على التمكن والإنسان يلجأ للقلب لطلب الخفة والبعد عن الاستثقال ، وهذا هو البغية من القلب، والانتقال من الثقيل غير المطاق غير المحتمل إلى الخفيف المطاق المحتمل وتبرز لنا هنا فكرة الأصول والفروع فالمنقول منه هو الأصل ، المنقول إليه ، الفرع ومتى حافظ الإنسان على أحكام القلب وأحواله ، جاء مطابقا لما يعتمل في النفس البشرية من الاسترواح النفسي .

ومن بلاغة القلب أيضا "الاتساع في القلب وذلك لزيادة المعاني بزيادة الألفاظ"[٤].

شروط القلب عند ابن جنى والبلاغة الصوتية فى ذلك: -

ويضع شروطا وضوابط لذلك، وهي : **ألا يكون الحرف المقلوب زائدا** لأن في ذلك وهْنا ، وأن يؤمن اللبس وألا يكون الحرفان متجاورين صوتيا ، وأن يكونا متجاورين مكانيا " وكلما تدانى الحرفان أسرع انقلاب أحدهما إلى صاحبه وانجذابه

---

[٢] المصدر نفسه ١٦٢/٣.

[٣] المصدر نفسه ١٣٤/١.

[٤] المصدر نفسه ٧٢/٢.

نحوه ، وإذا تباعدا كان بالصحة والظهور ، لذلك تركوا قلب الواو ألفا لبعد ما بين الألف والواو وقربها من الياء " [١].

وكذا ألا يكون للكلمة مصدر ، فـ " (أيس) مقلوب (يأس) لأنه لا مصدر له فلا أصل له" [٢] ولابد "من رد الأصول المختلفة إلى فرع واحد فذلك جيد في معناه، نافع في سواه " [٣] **وكذلك أن يكون أصلهما واحدا** ، وأحدهما أكثر [٤] اتساعا من الآخر فأن مقلوب عن أني، إن أقوى سبب القلب هو "طلب الاستخفاف"[٥] وقد أنكر السبكي وقوع القلب في القرآن [٦] ولكن ما قوله في قلب الاستواء في قوله تعالى " **وَرَبَّكَ فَكَبِّر** " [٧] وقوله أيضا " **وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**"[٨] **ويؤكد القرطا جنى أن سبب القلب** هو محاولة "المتأخرين الإحاطة بمعانى القدماء ولما كانت الألفاظ لا تحتمل ذلك فقد ألجأهم ذلك إلى القلب"[٩] فمدار القلب عند ابن جنى – كما هو واضح – وعماده ، الراحة النفسية ، ومدى تقبل النفس له أي القلب، وانجذابها له وتمكنه منها، وكلما كان أثره النفسي أقوى كان الحكم بالقلب أقوي وذلك في " ميثاق : جمعها مواثيق حتى

---

[١] الخصائص ١٥٢/١ ، ٧٢/٢.

[٢] المصدر نفسه ٤٤٢/٢.

[٣] المصدر نفسه ١٦٥/٣.

[٤] المصدر نفسه ٧٢/٢.

[٥] المصدر نفسه ١٦٤./٣

[٦] انظر : عروس الأفراح ٤٨٨/١.

[٧] المدثر : ٣.

[٨] الأنبياء : ٣.

[٩] منهاج البلغاء – القرطا جنى – تحقيق : محمد الحبيب بن خوجة – تونس سنة ١٩٦٦ م ص ١٨١ – ١٨٢.

صار الحرف المقلوب إليه لتمكنه في القلب ، كأنه أصل في موضعه ، حتى أجروا ياء ميثاق مجرى الياء الأصلية فمكنوا قدم الياء فيها أنسابها، استرواحا إليها ودلالة على تقبل الموضع لها فكأن باب ميثاق أثَّر في النفس أثرا قوي الحكم فقرره هناك " [١].

إنه هنا يصل لخطوة أبعد من ذلك حين يقرر أن الجانب النفسي هو سبب القلب ولولاه ، لما حدث قلب وخلافه، بل إنه ليجعل قلب الواو في صبية إلى ياء في صبيان " للاستحسان والإيثار لا عن وجوب علة وقوة قياس" [٢] فالاستحسان والإيثار هو سبب القلب ، وذلك مرجعه النفس .

قلب المعنى : -

ويتناول قلب المعنى في قوله تعالى " **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ** " [٣] فالمقصود أيها الساحر عندهم لا عندنا وكيف يكون ساحرا عندهم وهم به مهتدون وقوله تعالى (**أينَ شركائِى**)[٤] أي : "شركائي عندكم"[٥].

كلمة أخيرة في القلب : -

والقلب "يتنازعه أكثر من اتجاه، وإذا كان الاتجاه الأغلب لدى علماء البلاغة هو قبوله واستحسانه"[٦] ويسلك ابن عصفور القلب ضمن إبدال الحكم من الحكم

---

[١] الخصائص ١٦٣/٣ – ١٦٥.

[٢] المصدر نفسه ٣٥٠/١.

[٣] الزخرف : ٤٩.

[٤] النحل : ٢٧ و الكهف ٥٢.

[٥] الخصائص ٣٦٤/٢.

ويكون في الإعراب أو غيره من الأحكام ، لأن اللفظ إذا قلب حكمه أعطى حكم غيره [١].

ثانيا : الاشتقاق الصوتي وأثره البلاغي عند البلاغيين: -

لا شك أن الاشتقاق الصوتي قد تميزت به اللغة العربية عن سائر اللغات ، وما هو إلا توسعة لكثرة الألفاظ والمعاني وهو من " أعذب كلام العرب ، وهو ثابت عن الله تعالى ، حيث يقول "أنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت لها من اسمي"[٢].

وعند أبي هلال العسكري جعله لونا من ألوان البديع ، **وقسمه قسمين:**- "اشتقاق اللفظ من اللفظ واشتقاق المعنى من اللفظ "[٣] ولكن علماء البلاغة المتأخرين جعلوه من علم المعاني .

الاشتقاق الصوتي عند ابن جنى: -

لقد قسمه قسمين: الاشتقاق الأصغر (العام) وفيه تتقارب حروفه وبالتالي معانيه كتركيب مادة (س ل م) فإننا نأخذ منها معنى السلامة في تصرفه، نحو "سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة ، والسليم وعلى ذلك بقية الباب"[٤]، وهناك

---

[٦] نظرية اللغة في النقد العربي، صفحة ٣١٩.

[١] انظر الضرائر – لابن عصفور – السعادة – القاهرة سنة ١٩٤٧ م ص ٢٢٤ – انظر نظرية اللغه في النقد العربي، ص ٣٢١ وانظر حاشية الخصائص ٢١١/٢ حيث يؤكد المحقق موافقة بعض المتأخرين على آراء ابن جنى، لا سيما ابن عصفور .

[٢] المزهر – للسيوطي – السعادة – القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ ٣٦٤/١.

[٣] الصناعتين ص ٤٣٠.

[٤] الخصائص ١٣٦/٢.

الاشـــتقاق الأكبـــر وفيـــه تتباعـــد حروفـــه ولكـــن تتقـــارب معانيـــه مثـــل (ج ب ر) فكل مشتقاتها "دالة على القوة والشدة" [٥] .

دور البلاغة الصوتية في الاشتقاق الصوتي : -

إن ابن جنى ليتابع أثر البلاغة الصوتية فيؤكد على وجود علاقة محكمة بل تامة الإحكام بين الأصوات أو المدلولات، رابطة عقلية منطقية بينهما، فعنده أن المعنى تالٍ للصوت فإذا ما تم إيجاد علاقة ما بين الأصوات وبعضها البعض فمن اليسير المحتم وجود معان تلية هذه العلاقة ، وهذا ما يسميه بعض المحدثين (الرمزية الصوتية) بل لقد "غالى ابن جنى ومعه الثعالبي في هذا، إذ جعلا مجرد الاشتراك في أصلين فقط من الأصول الثلاثة دليلا على الاشتراك في معنى عام لـــبعض الكلمـــات ، فيقـــرر أن المعنـــى العـــام للتفرقـــة يكـــون بصـــوتين (القاف والراء) والمعنى العام للقطع يكون (بالقاف والطاء) إلى غير ذلك من تخيلات وتأملات تشبه أحلام اليقظة عند رجل اشتد ولعه باللغة العربية"[١] وتقوم فكرة الاشتقاق على "تماثل الأصوات والمعاني المتشابهة وينقسم إلى الاشتقاق العام (الأصغر) والاشتقاق الأكبر، ويرجع الفضل في مثل هذا التقسيم إلى ابن جنى في الخصائص " [٢] وليس الاشتقاق العام في الحقيقه إلا " للتوسع في اللغة يحتاج إليه الكاتب واستحداث معان، مما يساعد اللغة على مسايرة التطور الاجتماعي"[٣].

---

[٥] المصدر نفسه ١٣٧/٢.

[١] من أسرار اللغة – د / أبراهيم أنيس – ط ٦ – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة سنة١٩٧٨ م ص ١٢٦.

[٢] من وظائف الصوت اللغوي ص ٦٢.

[٣] المصدر نفسه ص ٦٣.

بلاغة الاشتقاق الصوتي عند ابن جنى من الجانب السيكولوجي: -

إن له أثر نفسي – أي أثر – حيث يجلب للنفس "الأنس والائتناس بين المشتق والمشتق منه وينشر ويبسط ما تجعد وتجمد وانقبض من خاطرك ويفسح المجال لنفسك أن تسترسل في التعبير عن مشاعرك وما يجول بنفسك ، كل ذلك مأتى من كثرة الألفاظ المتاحة من الاشتقاق وما نتج عن ذلك من كثرة المعاني"[١].

ويزول الشك في اللفظة التي يسمعها الرجل متى كان لها اشتقاق ، فيأنس بها ويزول أيضا استيحاشه منها فكل هذا الأنس والائتناس وزوال الجفاء مبعثه الاشتقاق مصدر الطمأنينة [٢].

بلاغة الاشتقاق الصوتي عند ابن جنى من المنظور العقلي الفكري: -

فهذا الباب بمثابة الجامع لمعاني اللغة العربية وفقهها وغريب لطيفها ويجعل المعاني منبهة على بعض، أي دالة على بعضها، ويتبع بعضها إثر بعض ويشد بعضها أزر بعض فهي مترابطة متراكمة متتالية، متتابعة وهو جاعل اللغة مواكبة كل جديد وكل حادث متطور تستوعب ما في الحياة من جديد يتماشى مع نظريته القائلة بزيادة المعاني لزيادة الألفاظ وكلها راجع إلى مصدر ومنبع واحد فيزيد التأمل والفكر كل هذا ارتآه ابن جنى وفطن له ، بالإضافة إلى التوسعة على الكتاب والأدباء والشعراء وفيه إعمال للعقل " وإنما سمي هائنا ليهنأ ، وعليه جاء نابغة ، لأنه نبغ فسمي بذلك" [٣] ويعتنق فيه الفكر المعاني .

---

[١] الخصائص ١٣٥/٢.

[٢] المصدر نفسه ١/ ٣٧٠.

[٣] المصدر نفسه ٢٧٤/٣ وانظر المصدر نفسه ١٣٥/٢.

كمان أن هذا الاشتقاق يسوي بين الحروف، فالباء "في أول الاسم بمنزلة حرف الجر في قولك بأبي أنت، فهذا بمنزلة : لله أنت" [٤] على أن اشتقاق العرب من كلام العجم "كان للتوسع كاشتقاقهم المزرج من الزرجون وهي الخمر" [٥] كما أنه يخص النفس وما يبهجها بألفاظ دالة على ذلك " حيث يرد التنوق والجمال والأنس والوشي والديباج إلى موضع واحد، مما يؤثر ويستحسن في النفس" [١] وكما أن من بلاغة الاشتقاق أنه يسوي بين الحروف ، فكذا يسوي بين الحرف والاسم ويجعلهما في المنزلة سواء حيث يشتق من الحرف ، كما يشتق من الاسم وهي – الحروف – لا تشتق أبدا وما دام الأمر كذلك ، فهي الأصل لأنه لم يكن قبلها شيء يشتق منها ، ويؤكد ذلك قولهم "سألتك حاجة فلوليت لي : أي قلت لي (لولا) ، فاشتق الفعل من الحرف المركب (لولا) فلا يخلو أن يكون (لو) الأصل وكذلك سوفت الرجل أي قلت له : سوف " [٢].

القدماء والمحدثون والمستشرقون يثنون على ابن جنى في باب الاشتقاق : -

يقول عنه السيوطي " لقد ابتدع ابن جنى الاشتقاق وكان شيخه أبو علي يأنس به يسيرا " [٣] ويقول عنه آدم ميتز " كذلك ظهرت في القرن الرابع الهجري دراسة جديدة للاشتقاق اللغوي وكان أستاذ هذه المدرسة ابن جنى الموصلي وهو الذي ينسب إليه ابتداع مبحثا جديدا في علم اللغة وهو المسمى (الاشتقاق الأكبر) وهو

---

[٤] المصدر نفسه ٢٧٦/١.

[٥] المصدر نفسه ٣٦٠/١.

[١] الخصائص ١٢٤/١.

[٢] المصدر نفسه ٣٦/٢ –٣٨.

[٣] المزهر ٣٤٧/١.

البحث اللذي لا يزال يؤتي ثماره إلى اليوم ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا"[٤] فمعنى هذا أن ابن جنى " سبق المحدثين في بيان أن الدراسات اللغوية تقوم على الإحصاء والدراسة الدقيقة ، لقد قام بدراسة إحصائية تنبع من خلالها ظاهرة لغوية (الرمزية الصوتية) ثم أصدر حكما دقيقا فهو عالم أمين دقيق"[١].

ثالثا : رفع المسند والمسند إليه بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي : -

يفلسف رفع المسند إليه، ويتناوله بطريقة عقلانية مبتكرة لم نعهدها عند أحد من ذي قبل، حيث يؤكد بكلام مفاده أن رفع المسند إليه – الفاعل – قد أتى، لأنه أقوى الأسماء ، فهو صاحب الحدث ، وحيث إن الضمة أقوى الحركات وهي علامة الرفع، فناسب وناظر أقوى الأسماء ، أقوى الحركات وكذا المسند إليه المبتدأ، مرفوع بالابتداء، لأنه يخلو من أية عوامل وكذا المسند إليه ، والمسند في كلا الأمرين ، تارة الفعل وأخرى الخبر [٢].

رابعا : بلاغة التذكير والتأنيث : -

ويتكلم عن بلاغة التذكير والتأنيث ويدرجه تحت باب بعنوان " باب في الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقيضه " ويقسمه ثلاثة أضرب :-

---

[٤] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري – آدم ميتز – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان سنة ١٩٦٧ م ٤٣٧/١٠.

[١] مجلة علوم اللغة – العدد الثلاثون مبحث في "قضية الرمزية الصوتية" – د / البدراوي زهران – دار غريب ١٩٩٧ م ص ١٠٤ وانظر : اللغة – للمؤلف أوتو يسبرش – ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص– القاهرة– ١٩٧٧ م الفصل العشرون (الرمزية الصوتية) soundsymbolism ص ٣٩٦ – ٤١١ .

[٢] انظر الخصائص ١٧٤/١ ، ١٩٧/١.

الضـرب الأول : تـأنيـث المـذكر والمؤنـث واجتماعهمـا في الصـفة المؤنثـة وبلاغـة ذلـك الضرب: -

نحو رجل علامة ، أمرأة علامة ، رجل نسابة ، امرأة نسابة ، وهو كثير ، وهذه الهاء ليست أصلية في تلك الصفات ، وإنما التأنيث هنا للغاية والمبالغة والنهاية [١] ، فمجيء الهاء هنا " ليس من قبيل الظواهر المطردة ، وإنما جاءت هنا لمهمة غير عادية ، هي المبالغة في الصفة والدلالة على تناهيها في بابها ومن هنا يربط ابن جنى بين دخولها وعدد من الظواهر غير المطردة ، كتصحيح العين وتكرير الألفاظ " [٢].

الضـرب الثـاني : تـذكير المـذكر والمؤنـث واجتماعهمـا في الصـفة المـذكرة وبلاغـة هـذا الضرب: -

نحو : رجل خصم ، امرأة خصم ، امرأة عدل ، ورجل عدل ويؤكد أن هذا التذكير للصفة ، إنما جاء لأنها مصدر وسر بلاغتة ، المبالغة والعموم ، لأنه اسم جامع للجنس ، وبلاغة ذلك أيضا التوكيد والتمكن ، فأنت " عندما تقول:– رجل عدل ، فكأنك وصفته بجميع الجنس مبالغة ، ووصف بالجنس أجمع تمكينا وتوكيدا " [٣] والضرورة ليست عن اضطرار دائما وإنما يكون ارتكابها عن عمد واختيار لفضيلة يتبناها الشاعر دون آخر إدلالا بالقدرة على المغامرة [٤].

---

[١] انظر الخصائص ٢٠٣/٢ ، ٢١٧/٣.

[٢] نظرية اللغة ص ٢٥٩.

[٣] المصدر نفسه ٢٠٤/٢.

[٤] انظر : نظرية اللغة في النقد العربي ص ٣٣٠.

الضرب الثالث : التذكير والتأنيث سواء وبلاغة ذلك : -

كأن تقول " ناقة ضامر ، جمل ضامر ، وناقة بازل ، وهكذا ، وبلاغته فيه من الاتساع ما فيه " [٥]

بلاغة المصدر بين التذكير والتأنيث والتفكير الديالكتيكى: -

فهو يؤكد أن المصدر يذكر ويؤنث ، مستخدما التفكير الديالكتيكى الجدلي المنطقي في ذلك ، فيقول "المصدر اسم جنس ، أسماء الأجناس ، تكون للمعاني ، كما تكون للأعيان ، والأعيان قد تؤنث ، وكذا المعاني ، فيكون التأنيث هنا لفظا لا معنى "[١].

لا جرم أنه يفرق بين المصدر الصريح والموؤل ، فيوضح أن المصدر الصريح هو الذي يذكر ويفرد ، أما إذا لحقه التأنيث وجمع فهو صفة متأولة عليه " فالصفة ليست في الحقيقة مصدرا ، وإنما هي متأولة عليه ومردودة بالصفة إليه ، فلو قيل رجل عدل ، امرأة عدلة ، فقد جرت صفة ، ولم يكن فيها من قوة الدلالة على المصدرية ، ما في نفس المصدر " [٢].

فهو يوضح أن الأصل هو المصدر ، والصفة هي الفرع ، لذا يتأتي التأنيث " فالأصول لقوتها يتصرف فيها والفروع لضعفها يتوقف بها ويقصر عن بعض ما تسوغه القوة لأصولها " [٣].

---

[٥] الخصائص ٢/٢١١.

[١] الخصائص ٢/٢٠٨.

[٢] المصدر نفسه ٢/٢٠٧.

[٣] المصدر نفسه ٢/٢٠٧.

ويؤكد تارة أخرى على أن الإفراد والتذكير أقوى في اللغة وأعلى في الصنعة والمبالغة ، وأتم في المعنى وأكمل ، فكان ذلك مما يناسب المصدر ، الأصل الأقوى لا الصفة الفرع " وإنما كان التذكير والإفراد أقوى من قبل أنك لما وصفت بالمصدر أردت المبالغة بذلك ، فكان من تمام المعنى وكماله أن تؤكد ذلك بترك التأنيث والجمع ، كما يجب للمصدر في أول أحواله ، ألا ترى أنك إذا أنثت وجمعت سلكت به مذهب الصفة الحقيقية التي لا معنى للمبالغة فيها ، نحو قائمة ، ومنطلقة " [٤].

جملة القول إن بلاغة المصدر في تذكيره وإفراده ، وتتمثل تلك البلاغة في المبالغة وتمام وكمال المعنى ، وما جاء في تأنيثه فلأنه الأصل والأقوى لذا يتصرف فيه وهو أول الأشياء وأول الأحوال ، لذا جاء على نسق الخليقة الأولى من التذكير والإفراد، والمصدر دال على الجنس، والجنس أسبق شيء للتذكير .

بلاغة التأنيث: -

وتتضح في التوكيد والتمكين والاحتياط " إن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له ، ومن ذلك الاحتياط في التأنيث ، كقولهم فرسة ، وناقة لأنهم لو اكتفوا بخلاف مذكرها لغنوا بذلك" [١].

تأنيث المؤنث عند ابن جنى يستحيل مذكرا : -

يرى رأيا منطقيا في ذلك ، إذ يرى أن علامة التأنيث الثانية توحي بنقض الغرض ، وأنه لم يكن مؤنثا في حال الأصل، لذا أنثته هذه التاء، ثم إن ذلك قد أعاده

---

[٤] المصدر نفسه ٢٠٩/٢.

[١] الخصائص ١٠٦/٣.

إلى أصله، إلى التذكير، فكأني به يقول: إن نفى النفي إثبات وكذا تأنيث المؤنث تذكير، وبلاغة ذلك عنده "هي: الإيغال ، والمبالغة في الشيء" [٢].

لماذا لا يذكر المذكر فيعود إلى التأنيث ؟

يطرح هذا السؤال ويجيب على ذلك بكلام مؤداه ، أن التذكير هو الأصل هو السابق على التأنيث فليس وراءه غاية أو منتهى ، فلا يمكن رد الأصل إلى الفرع " التذكير هو الأول والأصل ، فليس لك التراجع عن الأصول لأنها أوائل وليس تحت الأصل ما يرجع اليه وليس كذلك التأنيث ، لأنه فرع علي التذكير"[٣] على أية حال يرى ابن جنى أن تذكير المؤنث "واسع جدا بينما يرى تأنيث المذكر منكرا ، بل أدعى للتنافر والإغراب" [٤].

إن قضية التذكير والتأنيث كالقضايا السابقة يتنازعها أمران : العقل والنفس الجانب الفكري والجانب الوجداني ومدى تقبل العقل والنفس لها حيث يقول "فاعرف ذلك وأنس به، ولا تنب عنه " [١] فالغرض النفسي منه أن تأنس النفس به وتنشرح وتنبسط بقراءته [٢].

بلاغة تذكير المؤنث وبلاغة تأنيث المذكر عند ابن جنى: -

وتصل الدقة به منتهاها ومداها عندما يفرق بينهما فيوضح أن بلاغة تذكير المؤنث نتلمسها في التناهي في الصفة بينما بلاغة تأنيث المذكر تتمثل في المبالغة

---

[٢] المصدر نفسه ٢٣٨/٣.

[٣] المصدر نفسه ٢٤٥/٣ ، ٢٣٨/٣.

[٤] المصدر نفسه ٤١٧/٢.

[١] الخصائص ٢٤٦/٣.

[٢] المصدر نفسه ٣١٢/٣.

يقول في ذلك " امرأة صابرة " فإذا تناهوا في ذلك قالوا صبور ، ورجل ناكح فإذا بالغوا قالوا : رجل نكحة"[٣].

ابن جنى يفسر مخالفة العدد لمعدوده : -

يقف أمام ذلك ويفلسفه ويجهد نفسه في محاولة تفسير تأنيث المذكر مثل قولك : مررت برجال أربعة " إن أربعة ليس وصفا محضا ، وإنما هو اسم عدد تماما بمنزلة نسوة أربع" [٤] فهو يجعل العدد اسما كي يسوغ لنا هذه المخالفة.

كسر عين الفعل يمثل بلاغة التأنيث : -

حيث يؤكد أن كسر عين الفعل هو بمثابة التأنيث بلاغيا وهو المبالغة في المعنى "ونحو من تأنيث هذه الصفة ليعلم أنها بلغت المعنى الذي هو مؤنث أيضا تصحيحهم العين في نحو : حول ، صيد " [٥] .

علامة التأنيث عنده تعادل الألف والنون : -

ويرى ذلك في استخلاص المفرد من الجمع وعلامة ذلك، كعلامة استخلاص الواحد من الجمع " حيث مفرد شعير شعيرة ومفرد تمر تمرة بالهاء ، وكذا مفرد أنس : إنسان بالألف والنون وهكذا "[١] .

---

[٣] المصدر نفسه ٣/٢٤٦.

[٤] المصدر نفسه ٣/١٩٣ ، ١/١٥٤.

[٥] المصدر نفسه ٢/٢٠٣.

[١] الخصائص ٣/ ٢١١.

بلاغة التذكير: -

والتذكير يأتي للعموم والتغليب كقوله تعالى " **يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء** " [٢].

ولم يقل كواحدة ، لأن "الموضع موضع عموم فغلب فيه التذكير"[٣].

ابن جنى لا يؤنث الفعل لذاته : -

وتبيان ذلك ان الفعل دال على الجنس والجنس أسبق شيء للتذكير ولكن يؤنث لفاعله " وإنما دخلت تاء التأنيث في نحو قولك قامت هند لتأنيث فاعله ولو كان تأنيث الفعل لشيء يرجع إليه هو لا إلى فاعله لجاز قامت زيد " [٤].

أسباب تأنيث المذكر عند ابن جنى: -

ويفسر الإتيان بتاء التأنيث آخر الكلمة وذلك لغرضين: -

أولهما : لنعرف الكلمة التي أنثت بالضبط

ثانيهما : الاحتفاظ بصورة المذكر كاملة واضحة صحيحة حتى إذا أفرغناها منه عرفنا حقيقته ، ولو أتت "تاء التأنيث على غير هذه الجهة لاستبهم الوضع" [٥].

---

[٢] الاحزاب ٣٢.

[٣] الخصائص ٣/٣٣٩.

[٤] المصدر نفسه ٣ / ٢٤٧.

[٥] المصدر نفسه ١/٢٢٧.

تـاء التـأنيث عند ابن جنى أقوى علامات التـأنيث: -

وهي عنده أم الباب فلا يعد لها حتى ألف الإطلاق " شبه ألف الإطلاق بتاء التأنيث وليست كذلك لأنها لم تقو قوة تاء التأنيث" [١] والمذكر عند سيبويه " أشد تمكنا وأخف من المؤنث " [٢].

ابن جنى لا يجيز اجتماع تـائي التـأنيث : -

حيث يرى أن جمع تمرة : تمرات ، فحذفت التاء تناكرا لاجتماع علامتي التأنيث في لفظ واحد فهي محذوفة لفظا، مقدرة معنى ، وسبب الحذف هنا "إصلاح اللفظ والسياق والعناية" [٣] لقد انمحى الحديث أو كاد عن بلاغة التذكير والتأنيث وتنوول هذا الموضوع نحويا وأغفل بلاغيا ، ولم يدر في خلد أي أحد ، ما له من هذه الأسرار البلاغية ، وما من حديث في هذا الشأن إلا جاء صدى لآراء ابن جنى ، لقد استنقذ ابن جنى هذا الموضوع من غياهب النسيان ، أين أنت يا عبد القاهر؟ أين رفقاؤك في هذا الضرب ؟!! إنه وهم لم يشيروا لا من قريب ولا من بعيد له بأية إشارة ، إنني لأرى أن هذا الموضوع قريب الصلة بعلم المعاني لما يدور في إطارها من أحوال خاصة بالمسند والمسند إليه ، وعلى عادة أبوابه من التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والذكر والحذف لا سيما وأن أغراضه البلاغية تكاد تتسق معهم جيمعا لا بون بينهم .

---

[١] الخصائص ٢٩٣/١.

[٢] الكتاب ٣٥٦/١.

[٣] الخصائص ٣١٥/١.

الدكتور عبد الحكيم راضي وموقفه من ابن جنى: -

ويستحسن آراء ابن جنى المنطقية ويراها من الطرافة بمكان " ومن أطرف صور التعليل عنده ما جاء تحت حديثه في التراجع عند التناهي وهو مبدأ منطقي قال إنه صالح للتطبيق في كثير من العلوم ومنها اللغة وقد راح يطبقه على عدد من الظواهر، منها الجمع الذي يفرق بينه وبين مفرده بتاء التأنيث في المفرد"[١].

ونحن نتفق معه في رأيه الذي يذهب إليه في أن أصداء هذه التعليلات المنطقية التي أرساها ابن جنى ظلت قائمة لدى المتأخرين ، فنجد القول في المبالغة لدى الأشموني في شرحه الألفية وكذا لدى ابن الأثير في الجامع الكبير وكذا في جوهر الكنز ، كما اعتبرها السبكي من باب الخروج على خلاف مقتضى الظاهر [٢] على أية حال نستطيع القول ونحن مطمئنون إن ابن جنى أول من ولج هذا الباب ولم يوصده أمام غيره فهو مبتكره ، وأبو عذرته.

خامسا : الاستدراج بين التفكير الديالكتيكى والتحليل السيكولوجي عند البلاغيين: -

الاستدراج لغويا " ترقية الشيء من درجة إلى درجة " [٣] وهو من قولهم "استدرجته إلى كذا ، إذا أنزلته درجة درجة حتى تستدعيه إليك ، وينقاد لما قلته وذلك في قوله تعالى " **سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ** " [٤] وهذا الاسم إنما يطلق على

---

[١] نظرية اللغة في النقد العربي، صفحة ٢٥٩ – ٢٦٠.

[٢] انظر: المصدر نفسه صفحة ٢٦١ ، بل إن "ابن جنى ليجعل الحركة علامة التأنيث وليس الحرف ، فالكسرة علامة التأنيث : أنت، الفتحة علامة التذكير : أنت، انظر: الخصائص ١٩٢/٢.

[٣] انظر: الصحاح وأساس البلاغة واللسان : مادة درج.

[٤] الأعراف : ١٨٢.

بعض أساليب الكلام وهو ما يكون موضوعا لتقريب المخاطب "والتلطف به والاحتيال إليه بالإذعان إلى المقصود منه ومساعدته له بالقول الرقيق والعبارة الرشيقة" [٥].

الاستدراج عند ابن جنى ومقارنته بآراء السابقين : -

ابن جنى يتناوله معرفا قائلا " الاستدراج ذلك يشبه شيئا من موضع فيمضي حكمه على حكم الأول ثم يرقى منه إلى غيره " [١] وهو ذات التعريف الذي أقر به العلوي واستولى عليه كما ترى وإذا وازنت بين الرأيين والقولين ، لم تجد كبير خلاف ، ألم أقل إن كل ما جاء بعد ابن جنى هو عالة عليه ، وما بين دفتي كتبهم ليعج ويشى بذلك .

أمثله للاستدراج عند ابن جنى: -

ويضرب لنا العديد من الأمثلة على ذلك ومنها قولهم "جالس الحسن أو ابن سرين، ولو جالسها معا لكان مصيبا، حيث مجالسة الحسن فيها حظ وفير وكذا ابن سرين"[٢] فتدرج من مجالسة الأول إلى مجالسة الثاني .

القلب نوع من التدرج عند ابن جنى: -

وذلك أن " صبية أصلها صبوان، ولما كانت الصاد مكسورة وضعف الباء أن تكون حاجزا لسكونها قلبت الواوا ياء، ولما زالت الكسرة كان حريا بالياء أن تعود واوا

---

[٥] الطراز ٢/٢٨١ – ٢٨٢.

[١] الخصائص ١/٣٤٨.

[٢] المصدر نفسه ١/٣٤٩.

ولكنهم استحسونها فتركوها كما هي وذلك للجنوح إلى خفة الياء مع أدنى سبب طلبا للاستخفاف وتدرج منهم إلى إقرار الياء بحالها " [٣] .

التدرج والاستفهام : -

والتدرج عند ابن جنى ينقل حكم الاستفهام إلى حكم الخبر وذلك عندما "تريد التثبت من الحدث، عندما تقول : مررت برجل : منى؟ وضربت رجلا: منا؟ فلما شاع هذا ونحوه عنه تدرجوا منه إلى أن قالوا : ضرب من منا ، أي ضرب رجل رجلا " [١] والتدرج أيضا عند ابن جنى يجعل حكم الاستفهام حكم الشرط ، في عمل حرف الجر فيهما إذا تقدم عليهما ، وكذا الاسم المتقدم عليهما حملا على حرف الجر " ومن ذلك قولهم : بأيهم تمرر أمرر ، فقدموا حرف الجر على الشرط فأعملوه فيه ، فلما ساغ لهم ذلك تدرجوا منه إلى أن أضافوا إليه الاسم فقالوا : غلام من تضربه أضربه ، وجميع هذا حكمه في الاستفهام حكمه في الشرط من حيث إن لهما صدر الكلام " [٢] .

التدرج والمضاف: -

ومن التدرج عنده أيضا أن يكتسب المضاف من المضاف إليه كثيرا من أحكامه ، لما وقع بينهما من مشابهة ، فيكتسب منه التعريف والتنكير والاستفهام والشياع " مثل قولك : ما قرعت حلقة باب دار أحد قط ، فسرى ما في (أحد) من العموم والشياع إلى الحلقة" [٣] .

---

[٣] المصدر نفسه ١ /٣٥٠ – ٣٥١.

[١] الخصائص ١/٣٥٠.

[٢] المصدر نفسه ١/٣٥٣.

[٣] المصدر نفسه ١/٣٥٤.

التدرج وتغير نوع الظرف: -

حيث التدرج يحيل ظرف الزمان إلى ظرف المكان بسبب الشياع وكثرة الاستعمال "لما اطردت إضافة أسماء الزمان إلى الفعل ، نحو : قمت يوم قمت وأجلس حين تجلس، شبهوا ظرف المكان بها في (حيث) فتدرجوا من (حين) إلى (حيث) ، فقالوا : قمت حيث قمت " [٤]

التدرج والحذف: -

وهناك التدرج في الحذف وذلك في قوله تعالى " **وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئ** " [١] حيث حذف حرف الجر فيه "متدرجا في ذلك، فصار تجزيه، ثم حذف الضمير فصار تجزي، فهذه ملاطفة الصنعة، هذا نقيض سيبويه الذي حذف (فيه) دفعة واحدة" [٢].

التدرج عن ابن جني أوسع و أشمل : -

فمن نافلة القول إن التدرج عند ابن جني أوسع وأشمل من هذا الذي عند لاحقيه ، كالعلوي صاحب الطراز وغيره، حيث شمل المعني وتغيير صيغة وبنية الكلمة ، بل نقل الكلام من أسلوب الي أسلوب لقد شمل الشكل والمضمون ، بينما وقف عند العلوي ، عند المعني فحسب، لا يعدوه لسواه ، وكان حريا به وهو المتأخر عليه أن يتسع ويفيض ويزيد لا أن يضيق ما وسعه ابن جني المتقدم عليه.

الجانب الفكري و النفسي في التدرج عند ابن حني : -

---

[٤] المصدر نفسه ٣٥٧/١.

[١] البقرة : ٤٨.

[٢] الخصائص ٤٧٥/٢.

أما الجانب الفكري فيقول في ذلك " الغرض منه– الاستدراج – الرياضة به، وتدرب الفكر بتجشمه ، وإصلاح الطبع لما يعرض في معناه و علي سمته"[٣] و يربط بين الاثنين معا – الفكري والنفسي – في قوله " إن الانتفاع بمسائل الفقه والفرائض والحساب والهندسة وغير ذلك من المركبات المستصعبات لا يتأتي الانتفاع به من قبل ما تقنيه النفس ومن الارتياض بمعاناتها " [٤] إن الجانبين ليتجاذبان أطراف الحديث عنده وهما القاسم المشترك في ذلك " فهذا – أي التدرج أو الاستدراج – ونحوه إنما الغرض فيه التأنس فيه وإعمال الفكرة فيه ، لاقتناء النفس القوة علي ما يردفيه [١] فجمله ماسبق نراه يؤكد علي أن ائتناس النفس واطمئنانها إليه وانجذابها أولا له ، يجعل الإنسان يجشم فكره علي تقبله مدي ما روض نفسه علي ذلك، ثم إن الإنسان ليجهد عقله ويكد لبه و يقدح زناد ذهنه متي وجدت النفس القوة فيها علي أن تقتنيه وتستسيغه .

سادسا : معاني الحروف : -

والحرف عنده يصلح لأكثر من معني ؛ (أو) "تصلح للشك و تكون لأحد الشيئين" [٢]، (من) تكون تبعيضا وابتداء، (لا) تكون للنفي والنهي وللتوكيد و(إن) شرطا و نفيا وتوكيدا ، (الواو) تكون للعطف بمعني (مع) والجمع (ما) تكون نفيا و شرطا واستفهاما ، و(أم) تكون للاستفهام وبمعني (بل) للترك والتحول [٣] و(الفاء

---

[٣] المصدر نفسه ٢/٩٢.

[٤] المصدر نفسه ٢/٩٥.

[١] الخصائص ٢ /٤٩٠.

[٢] المصدر نفسه ٢/٤٥٩.

[٣] المصدر نفسه ٢/٤٦١ .

) تكون جوابا للشرط وللاتباع والعطف والتعقيب والسببية وقد تكون زائدة [٤] و(الباء) للملاصقة والاستعانه به ، كقولك : أمسكت بالحبل أي ملاصقة يدي له [٥] ومعني (علي) في الأصل للاستعلاء ، فلما كانت هذه الأحوال كلفا ومشقة تخفض الإنسان وتضعه وتعلوه وتقرعه ، حتي يخضع لها ويخنع لما يتسداه منها كان ذلك من مواضع علي [٦].

الناحية النفسية بين علي و اللام : -

حيث يقارن بين (علي) و(اللام) مستخدما في ذلك الناحية النفسية "فيقولون هذا لك وهذا عليك فتستعمل اللام فيما تؤثره، علي فيما تكرهه"[١] فالشيء الذي لك ، فإنك بالطبع تؤثره وتفضله وتنجذب إليه نقيض الشيء الذي عليك فإنك – بالطبع – تكرهه وتمقته ف (لك حق ، وعليك واجب)،فهيهات بين الأمرين ، فالمعول علي ذلك النفس وما تتقبله والطبع وما يستهجنه، لذا يسميه بعض المحدثين بأنه من علماء معانى الحروف[٢] .

سابعا : بلاغة الجملة الاسمية والفعلية : -

الاسم أسبق من الفعل ، الفعل أسبق من الحرف ؛ ذلك لأن الاسم أقوي من الناحية النفسية ، من الفعل وأن الناس في بدء الخليقة كانت في عوز وحاجة إلي

---

[٤] المصدر نفسه ٢٢٦/٣ .

[٥] المصدر نفسه ٢٥٢/٣، ٢٧٦/٢.

[٦] المصدر نفسه ٢٧٣/٢.

[١] الخصائص ٢٧٣/٢ .

[٢] انظر: زيادة الحروف بين التأكيد والمنع وأسرارها البلاغية فى القرآن الكريم د/ هيفاء عثمان عباس– دار المعارف– القاهرة عام ٢٠٠٠م، ص ١٣٥.

الاسم للتعبير عن مسميات الأشياء ، فكان الاسم هو تلك الوسيلة، ثم إنهم سموا حاجاتهم أولا ، ثم أتوا بالفعل بعد ذلك لتوضيح تلك المسميات ، ثم الحرف أخيرا[٣] وهكذا اعتقد وتيقن الناس ، ثم جاء الفعل المضارع أول الأفعال ، فهو أسبق رتبة من الفعل الماضي ، ولو نفي المضارع ، نفي الماضي الذي هو فرع عن الأصل .

وبلاغه الماضي الوجوب والتحقيق و التوكيد و الثبوت .

وبلاغة المضارع الاستمرار و التجدد و الحدوث و ذلك عندما يتناول البيت القائل :- ولقد أمر علي اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

فإنما " حكي فيه الحال الماضية والحال لفظها أبدا المضارع ، نحو قولك : زيد يتحدث ويقرأ ، أي هو في حال تحدث وقراءة ، وهذا هو معني التجدد والاستمرار الذي أكده البلاغيون فيما بعد ، لقد وضع ابن جني يده علي سر بلاغة الماضي والمضارع وأكد أن المضارع الأسبق ، لأنه الأصل ، لأنه العدم ثم وجدت الأشياء بعد ذلك بواسطة المضارع"[١].

ابن جني يؤكد علي كثرة استخدام الفعل الماضي عن المضارع : -

---

[٣] انظر الخصائص ٣٥/٢ .

[١] الخصائص ٣٣٥/٣.

و ذلك فى قولهم: "إن قمت قمت والمعني: إن قمت أقم ، فجىء بلفظ الماضي والمعني معني المضارع وذلك للاحتياط وللتوكيد ، بينما المضارع مشكوك في وقوعه ، والماضي مقطوع بوقوعه"[٢].

الجانب الفكري والنفسي في بلاغه الجملة الاسمية وتقدمها علي الجمله الفعلية : -

ومرجعه في ذلك، أن الأسماء هي الأصول، الأفعال هي الفروع "فالأسماء أصلا ، من حيث كانت الأسماء أشد تصرفا في هذا ونحوه من الأفعال؛ إذ كانت هي الأول، والأفعال توابع وثوان لها؛ وللأصول من الاتساع والتصرف ماليس للفروع " [٣] هذا عن الجانب الفكري ، ويعضده بقوله تعالي **"وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَة "**[٤]، ويبرز الجانب النفسي في أن الله اختص الأسماء بالذكر لمالها القوة والأولية في النفس والسبق في الرتبة ، والاسم دال علي المسمي ، فالحاجة أولي للاسم عن الفعل والحرف ومارفع المبتدا إلا لسبقه بالابتداء [١]، ومن ثم فالاسم يحتمل الزيادة عن الفعل لأنه الأقوي والاخف والفعل نقيض ذلك ، أضعف وأثقل [٢] هكذا تضامن الجانبان في إبراز أسبقية الاسم عن الفعل ولقد بدا ابن جني أكثر دقة في ذلك عن لاحقيه ، ونخص بالذكر عبد القاهر الجرجاني ، الذي لم يفصل الأمر في هذا الترتيب[٣].

---

[٢] المصدر نفسه ١٠٧/٣.

[٣] المصدر نفسه ٨٤/٣.

[٤] البقرة ٣١ .

[١] الخصائص ٤٣/١.

[٢] المصدر نفسه ٢٣٧/١وهو هنايبدو متأثرا بما قاله سيبويه ،انظر الكتاب ٧٥٦/١.

[٣] انظر : دلائل الإعجاز ص ٤.

ثامناً : الخروج علي خلاف مقتضي الظاهر :

و يتمثل ذلك في عدة صور منها:

١- **إفراد الضمير و جمعه** :- وذلك كقولك : "شكرت من أحسنوا إلي علي فعله"[٤]، فقد أفردت الضمير في قولك : من ، ثم جمعته في قولك (أحسنوا). وكذلك قوله تعالي (**وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ**) [٥] فأفرد الضمير بقوله : من ثم جمعه في (يغوصون). وقد تحدث ابن قتيبة في (باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه) [٦]؛ وتحدث عنه أبو عبيدة وجعله مجازا (مجاز ما جاء من لفظ الاثنين ثم جاء لفظ خبرهما علي لفظ خبر الجميع) ؛ (مجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه علي الاثنين)[٧] وتحدث عنه أحمد ابن فارس في باب أسماه

---

[٤] الخصائص ٤٢١/٢.

[٥] الأنبياء:٨٢.

[٦] تاويل مشكل القرآن-ابن قتيبة- تحقيق السيد أحمد صقر -الحلبى-القاهرة سنه ١٩٦٨م، ص ٢١٨.

[٧] مجاز القرآن- أبو عبيدة - تحقيق محمد فؤاد -الخانجي-القاهرة سنه ١٩٥٤م، ١٨/١.

(سنن العرب في كلامها)[١]، "لقد ربط ابن جني هذا الأسلوب وقوة اعتقاد العرب أحوال المواضع ، وكيف ما يقع فيها "[٢].

٢-جواز تقدم المضمر علي مظهره لفظا و معني :- فإنك "تقول : ضرب زيدا غلامه ولا تقول : ضرب غلامه زيدا" [٣] ولكن ابن جني يعود علي ذلك بقوله "إن ضمير الشأن أو القصة لابد له أن تفسره الجملة نحو قوله تعالي (**قل هو الله احد**)، فقولنا الله أحد تفسير لـ (هو)"[٤] وهذا ما أكده الآلوسي فيما بعد حيث أكد أن الضمير يعود علي متأخر لفظا ورتبة في سته مواضع ، منها أن يكون ضمير الشأن والقصة[٥] وعودة الضمير علي متأخر لفظا ورتبة " مسألة تركيبية" [٦].

٣-وضع المضمر موضع المظهر و العكس :- نحو قولك زيد مررت بزيد ، وإنما سبيله : زيد مررت به ، ووضع المظهر موضع المضمر، من ذلك قول الشاعر :-

لا أري الموت يسبق الموت شيء نغَّص الموت ذا الغني و الفقيرا

وكان الوجه أن يقول لا أري "الموت يسبقه شيء" [٧].

---

[١] الصاحبي ص ٣٤٩ مثل (الجمع يراد به واحد و اثنان) ،(مخاطبة الواحد خطاب الجمع)، (مخاطبة الواحدبلفظ الجمع).

[٢] نظرية اللغة في النقد العربي ص ٢٥٥.

[٣] الخصائص ٢٩٥/١

[٤] المصدر نفسه ١٠٦/١

[٥] انظر: المغني بن هشام –السعاده–القاهرة سنه ١٩٦٠م ص ٥٤١-٥٤٦.

[٦] نظرية اللغة في النقد العربي ص ٣٢٣ .

[٧] الخصائص ٥٥/٣.

٤- رفع الاسم أو نصبه بتأويل معني في الكلام:-

وذلك في قوله تعالي (**وَحَسِبُوَاْ أَلاّ تَكُونَ فِتْنَةٌ**)[١] بنصب تكون ، والظاهر أن ترفع ، إلا أنها نصبت، وذلك بتقدير (أن) الخفيفة : "أن لا تكون فتنة" [٢]

وكذلك قول الشاعر :-

ليبك يزيد ضارع لخصومة و مختبطُ مما تطيح الطوائحُ

فكأنه "قال: ليبكه ضارع لخصومة" [٣].

٥-حذف حرف الجر الزائد كقول الشاعر :-

بدا لي أني لست مدرك ما مضي ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

فالأصل : لست بمدرك " لأن هذا موضع يحسن فيه لست بمدرك مامضى" [٤].

٦- استعمال الحروف بعضها مكان بعض :- حيث يقول الشاعر :-

إذا ما امرؤ ولي علي بوده وأدبر لم يصدر بإدباره ودي

أي : "عني بدلا من علي" [٥].

---

[١] المائدة :٧١ .

[٢] الخصائص ٤٧٦/٢.

[٣] المصدر نفسه ٤٧٦/٢ .

[٤] المصدر نفسه ٤٢٦/٢.

[٥] المصدر نفسه ٣١٤/٢ ، وانظر : نظرية اللغة في النقد العربي ص ٣٠٩ .

٧- إنزال المضارع منزله الماضي و بلاغة ذلك :-

مثـل قولـك : أعـزك الله ، أطـال الله بقـاءك ، فتـأتي بلفـظ الماضـى ومعنـاه الاستقبال " تحقيقا وتفاؤلا بوقوعة أن هذا ثابت باذن الله وواقع غير ذي شك " [٦].

٨- إنزال الماضي منزلة المضارع :- مثل قول الشاعر :-

ولقد أمر علي اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

أي: "ولقد مررت" [١].

٩- تذكير المؤنث و تأنيث المذكر :-

وأفضنا في ذلك وأسهبنا فلا داعي للإطالة والسآمة.

١٠- وضع الضميرالمتصل موضع المنفصل و العكس :-

قد فصلنا ذلك تفصيلا في حديثنا عن الضمائر .

ومن الخروج على خلاف مقتضى الظاهر أيضا:-

وضـع الـلازم موضـع غير الـلازم ؛ إجراء غير الـلازم مجري الـلازم والوصـل مجري الوقف والوقف مجري الوصل [٢] وتوكيد اسم الفاعل تشبيها له بالفعل المضارع كقول الشاعر :-

أقائلُن أحضروا الشهودا

---

[٦] المصدر نفسه ٣/٣٣٣-٣٣٥ .

[١] المصدر نفسه ٣/٣٣٣-٣٣٤، وانظر نظرية اللغة في النقد العربي ويسميه ابن الأثير (الالتفات) ، انظر: المثل السائر ٢/١٣ -١٨.

[٢] انظر : الخصائص ١/٣٠٥.

حيث وكد : أقائلن ، بالنون [٣] وإجراء الصحيح مجري المعتل و إجراء المعتل مجري الصحيح[٤].

بلاغة الخروج علي خلاف مقتضي الظاهر عند ابن جني : -

يقول ابن جني عن هذا الموضوع " اعلم أن هذا النوع غور من العربية بعيد، ومذهب فسيح ، قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنظوما كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث ، وتصور معني الواحد في الجماعة ، والجماعة في الواحد وفي حمل الثاني علي لفظ قد يكون عليه الأول، أصلا كان ذلك اللفظ أو فرعا" [١] فهو يؤكد علي أن هذا الموضوع ليس بمستغرب علي العربية ، فقد قتل بحثا في القرآن وكلام العرب نثره وشعره ، وهو ضرب من الاتساع.

---

[٣] انظر: المصدر نفسه ١٣٦/١.

[٤] انظر: المصدر نفسه ١٣٦/١ وما بعدها ،٢٥٥/١ ٧٠/٢ وما بعدها ، و ذلك حيث يقول الشاعر :-

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

حيث جزم الفعل المعتل يأتيك بالسكون ، بينما علاقة جزمه حذف الياء ، انظر الخصائص ٣٣٤/١، العمدة٢٧٥/٢.

[١] الخصائص ٤١٣/٢ والسبكي يسمي ما ذكرناه آنفا : الخروج علي خلاف مقتضي الظاهر، انظر : عروس الأفراح ٢٩٢/١-٢٩٣.

نتائج الدراسة

لقد تمخضت عن عدة نتائج – بعد جهد جهيد و صبر لا يطاق – نسردها فيما يلي : -

١- **دار البحث في إطارين لا يعدوهما، وهما** : التفكير الديالكتيكي والتحليل السيكولوجي، ولا جرم في ذلك، فابن جني هو فيلسوف العربية وباقرها[١] وهو صاحب فكر منطقي ومبدأ فكري رائع [٢] ومؤلفاته يتعاورها هذا التفكير اللغوي وتلك الأصول الفلسفية [٣] وتتبعنا كل تحليلات ابن جني ووجدناها مطابقة لما يذهب إليه العقل وما يعتمل بالنفس، بل إن ذكاءه الثاقب وصل به مدي بعيدا، حيث كان يتناول الموضوع من الوجهة النفسية، أولا حتي إذا ما تقبلته النفس ، واستساغته كان سهلا ميسورا عليها أن تتقبله فكريا وذهنيا فالمعول أولا علي النفس ثم علي الفكر .

٢- ليس صحيحا ما ذهب إليه د/ عز الدين إسماعيل في كتابه التفسير النفسي للأدب " أن كثيرا من النقاد والبلاغيين العرب قد لمسوا العلاقة بين الأدب والنفس ولكنهم لم يتجاوزوا في ذلك مرحلة الإحساس المبهم إلي الشرح الموضوعي وربما استثنينا هنا عبد القاهر الجرجاني" [٤] فالواضح أنه لم يقرأ علي الأقل كتاب الخصائص لابن جني الذي يعج بذلك وتشيع الناحية النفسية فيه شيوعا لا مثيل

---

[١] انظر: مقدمة الخصائص، ص٢٨.

[٢] انظر: نظرية اللغة في النقد العربي، ص ٢٥٩ .

[٣] انظر : مقدمه أسرار البلاغة ص ١٦.

[٤] التفسير النفسي للأدب :- د/عز الدين إسماعيل – دار المعارف . القاهرة سنه ١٩٦٣ م ص٦ .

له، بل ربما تمثل لنا كتاب الخصائص نفسا بشريا متقده متوهجة متأججة، حيث بعث ابن جني فيه الحياة، أية حياة .

٣-كان عبد القاهر الجرجاني هو القاسم المشترك في دراستنا تلك ، وماذاك إلا لأنهم يزعمون وضعه أسس علمي المعاني والبيان و ما اتضح لنا يفوق الوصف بكثير، حيث الفضل في ذلك للمتقدم ، لابن جني ، وهو الذي يمكن أن ينسب إليه هذا الفضل لا غير، بل إن عبد القاهر. نفسه لم يلتفت لمبحث الإطناب كأساس من أسس علم المعاني، الذين يقولون عنه إنه وضع علم المعاني في فقرة واحدة[١] ناهيك عن إن حديثه عن بعض مباحث علم المعاني يشوبها النقص والعوار في أحايين كثيرة ، وقد فصلت الكلام في ذلك تفصيلا وما اقتباس وإغارة عبد القاهر علي آراء ابن جني ببعيد ، ولم ينبس ببنت شفة في ذلك ، ولكن من تناولوا كتبه أقروا بذلك " أعتقد أن عبد القاهر الجرجاني قد استفاد في نظريته بابن جني أستاذه الروحي ومؤلف كتاب الخصائص "[٢]، ويقول في موضع آخر "لو قلنا إن عبد القاهر إذا كان قد تأثر بأحد فإنما تأثر بآراء ابن جني في في كتابه الخصائص ، لكنا أقرب إلي الصواب "[٣] بل إن المحقق العلامة الثبت محمود محمد شاكر يعيب عليه صنعه في كتابه دلائل الإعجاز، وأنه لا يرقي لمؤلفات ابن حني ، لاسيما الخصائص "ولكن كان غريبا عندي أشد الغرابة، أنه لم يسر – أي عبد القاهر الجرجاني – في بناء كتابه سيرة من يؤسس علما جديدا، كالذى فعله

---

[١] انظر: البلاغة تطور وتاريخ ص ١٦٩، وأثر النحاة، ص ٣٩.

[٢] مقدمه أسرار البلاغة ص ١٦ .

[٣] المصدر نفسه ص ٢٣.

سيبويه في كتابه العظيم ، أوما فعله أبو الفتح بن جني في كتابه الخصائص، وكأنه كان في عجلة من أمرة "[٤].

٤- ابن جني غير مسبوق بآرائه تلك ، وكل فكرة تحدث عنها، هي من بنات أفكاره، ليس متبعا لأحد، ولا مقلدا لأحد، بل هو مبتكر مخترع، فريد في ذلك، وقد أوضحت الصفحات السابقه ذلك.

٥- أثبتنا عدم صحة ما ذهب اليه الدكتور/ تمام حسان " أن الفكر أوسع من اللغة وأن ربط المنطق باللغة برباط واحد ظلم " [١] وأكدنا أن اللغة وعاء الفكر وأن الاستدلال الذي هو أهم مباحث المنطق قد أخذبه ابن جني .

٦- علوم المعاني تمثلت بشرا سويا علي يدي ابن جني ، وطرق كل موضوعاته ولم يترك موضعا لقلم في أي بحث من أبحاثه.

وجاء ذلك كالتالي : -

* **تكلم ابن جنى في مبحث الإنشاء و الخبر عن مضامين جديدة** ؛ إذ حدد مفهوم الإنشاء والخبر ، وركز في حديثه على الإنشاء الطلبي ، ثم يمم فكره وقلمه جهة الإنشاء غير الطلبي، وهذا لم يسبق إليه ، إذ اعتبره البلاغيون كما مهملا، فرق بين بعض الأساليب ، وربط بين بعضها، وجاء دور البلاغة الصوتية ليسوي بين أسلوبي الاستفهام والنداء وبز عبد القاهر في ذلك الذي ما تكلم وما ركز الحديث إلا عن اسلوب الاستفهام فقط ، كما أنه لم يحده ثم إن ابن جني غض الطرف نهائيا عن أسلوب التمني.

---

[٤] مقدمة دلائل الإعجاز (ا).

[١] اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٦،٢٧ .

* **تكلم ابن جني في مبحث الفصل والوصل** وأتي علي مواضع الفصل والوصل جميعا وكان تأثر عبد القاهر بابن جني واضحا لامراء في ذلك.

* **تكلم عن التقديم والتأخير** وأتي علي كل أجزاء الجملة بينما لم يستوف عبد القاهر ذلك وجل همه هو تقديم الخبر والمفعول به ، وسبق ابن جني القدماء والمحدثين في كلامه عن تقديم الحال نقيض ما رآه د/إبراهيم أنيس [1].

* **تكلم في مبحث الذكر والحذف ، وبين بلاغة كلاًّ منهما :** وتكلم عن أشياء كانت بمثابة الحجب عند عبد القاهر ، كحذف المعطوف عليه والحال ، ثم أوضح دور البلاغة الصوتية في هذا الحذف .

* **تكلم في مبحث التعريف و التنكير عن أشياء جديدة،** كالأعداد ، سبب كثرة الأعلام في الأعيان وأن الأسماء قد تأتي معرفة نكرة في آن ، وعن تنوين الأعلام ؛ ثم فرق بين التعريف والتنكير وهذا كله كان عبد القاهر بعيدا عنه كل البعد .

***تكلم عن أسلوب القصر و ما لبث أن أتي فيه بجديد** ، حيث جعل القلة مماثلة للانتفاء والنفي، فهي إذن من وسائل القصر وماكان لعبد القاهر وغير عبد القاهر علم ولا لآبائهم بذلك .

* تحدث عن الإطناب ، هذا المبحث الذي أغفله عبد القاهر تماما ، بل لم يجعله من مباحث علم المعاني أصلا ، بل لم يأت ذكر هذه الكلمة سوي في موضعين في كتابه دلائل الإعجاز المقدمة ص ٧ "سوي الإطناب في القول" (مطنب) ص

---

[1] من أسرار اللغة العربية ص ٣١٨،٣١٧.

٤٢٣ فـلا داعـي إذن للمفاضـلة بينهمـا فـي ذلـك ، عبـد القـاهر " لـم يخصـص لموضوع الإيجاز والإطناب حيزا فى كتبه يجعله وقفا عليه كما فعل غيره "[٢].

* تكلم في المبحث الثامن عن القلب والاشتقاق والتدرج والتذكير والتأنيث وعلة ورفع المسند إليه وعلة تقدم الاسم علي الفعل، وكل هذا ما طرق ذهن وعقل ولب عبد القاهر ، وماكان أبدا ليطرقه .

٧- أثبت هذا البحث مدي تأثر العلماء بابن جني ، بلاغيين ، ونقاد ولغويين [١].

٨- ابن جنـي تعرض لظلم وإجحـاف مـا بعده ظلم وإجحـاف سواء مـن الأقدمين أو المحدثين أو من المستشرقين، فمن الأقدمين ، أمثال ابن الأثير الذي نقل من كتبه فصولا بأكملها ومع ذلك يهاجمه ويقدح فيه [٢] ومن المحدثين العلامة الثبت الدكتور/ شوقي ضيف صاحب كتاب (البلاغة تطور وتاريخ) والذي يربو علي ثلاثمائة وثمانين ورقة ولم يتعرض بلمحة أو إشارة أو رمز إليه ومن المستشرقين (يوهان فك) الذي وصفة بالسطحية وعدم التعمق ، لأن عدم الإلمام بدقائق اللغة لم يكن من فن ابن جني ولا طبيعته [٣].

٩- البلاغة الصوتية الذي ولج ابن جني بابها وولجه آخرون من بعده ،كانت لـه فيها آراء هي العمدة والركيزة وكل من أتي بعده عيال عليه .

---

[٢] رؤية جديدة للإيجاز والإطناب د/ عبد الغنى محمد بركة – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٨٣م ص ١٠٨-١٠٩.

[١] انظر : نظرية اللغة في النقد العربي ص (٦).

[٢] انظر : المثل السائر ٢١٨/١ والخصائص ٣٤/١.

[٣] العربية : يوهان فك – ترجمه وتعليق د/ رمضان عبد التواب – الخانجي – مصر سنه ١٩٨٠م، ص ١٨٦-١٨٨.

١٠- كل ما كتبه العقاد في (اللغة الشاعرة) من ص٨٨ وما بعدها و في كتابه (ابن الرومي) ص٣١٤ وما بعدها، وكتابه (يوميات، الجزء الثاني ص٢٨٠ وما بعدها ، ما هو إلا ترداد لكلام ابن جني في باب (قوة اللفظ لقوة المعني) والعلاقه بين (اللفظ والمعني) وتحليلاته (لأصوات اللغة العربية)[٤].

١١- وأخيرا نردد مع المتنبي قوله : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس .

[٤] البلاغة والأسلوبية ص ١٤٣ وما بعدها .

ثبت بالمصادر والمراجع

أولا : الكتب العربية والمترجمة : -

١) الإتقان في علوم القرآن – السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث – القاهرة سنة ١٩٨٥م.

٢) أثر النحاة في البحث البلاغي – د/ عبد القادر حسين – دار غريب للطباعة والنشر – سنه ١٩٩٨م .

٣) أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق عبد المنعم خفاجي – مكتبة القاهرة سنه١٩٧٦م.

٤) إعجاز القرآن – مصطفي صادق الرافعي – المكتبة التجارية – القاهرة سنة ١٩٦٩م .

٥) إعراب القرآن – الزجاج – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمه والنشر القاهرة سنه ١٩٦٣م

٦) الإمتاع والمؤانسة – أبو حيان التوحيدي – بيروت سنة ١٩٦٩م .

٧) الإيضاح – الخطيب القزويني – ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي – المطبعة التجارية – القاهرة سنة ١٩٨٠م .

٨) بديع القرآن– ابن أبي الأصبع – تحقيق د/حنفي محمد شرف – نهضة مصر – القاهرة سنه ١٩٥٧ م .

٩) البرهان في علوم القرآن – الزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث القاهرة سنة ١٩٦٥م.

١٠) البلاغة تطور وتاريخ – د/شوقي ضيف – دار المعارف – ص٢١ سنة ١٩٦٢م.

١١) البلاغة الغنية – د/ علي الجندي – نهضه مصر – القاهرة سنة١٩٥٦م.

١٢) البلاغة والأسلوبية – د/ محمد عبد المطلب – الشركة المصرية العالمية للنشر – القاهرة سنة ١٩٩٤م.

١٣) البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي– مصر – سنة ١٩٦٨م .

١٤) بيان إعجاز القرآن – ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – الخطابي – تحقيق/ محمد خلف الله احمد

د/ محمد زغلول سلام – دار المعارف سنة ١٩٦٨م .

١٥) تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة – تحقيق السيد أحمد صقر– القاهرة سنة ١٩٨٦م.

١٦) تفسير الطبري – المطبعة الأميرية – القاهرة سنه ١٣٢٣م .

١٧) التفسير النفسي للأدب – د/عز الدين إسماعيل – دار المعارف – القاهرة سنه١٩٦٣م

١٨) التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية – د/ مختار عطية – دار الوفاء– سنة ٢٠٠٥م

١٩) التكرير بين المثير والتأثير – د/عز الدين علي السيد – الهيئه المصرية العامة للكتاب ص ١٩٨٩م.

٢٠) الجامع الكبير – ابن الأثير – تحقيق الدكتورين/ أحمد محمد الحوفي؛ بدوي طبانة – المجمع العلمي العراقي– بغداد سنه ١٩٥٦م.

٢١) جدلية أبي تمام د/ عبد الكريم الباقي – دار الجاحظ – بغداد سنة ١٩٨٠م.

٢٢) جواهر البلاغة – الهاشمي – دار الفكر العربي – بيروت سنه ١٩٨٦م .

٢٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري – آدم ميتز – دار الكتاب العربي – بيروت لبنان سنه ١٩٦٧ م.

٢٤) حلية المحاضرة – الحاتمي – دار الكتب سنة ١٩٧٠م .

٢٥) الخصائص – ابن جني – تحقيق د/محمد علي النجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة ١٩٩٩م .

٢٦) دروس في الألسنية العامة – دي سوسير – تعريب صالح القرمادي و محمد الشاوش – الدار العربية – تونس– سنة ١٩٨٥م .

٢٧) دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود محمد شاكر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٥ سنة ٢٠٠٠م .

٢٨) دلالات التراكيب – د/محمد أبو موسي – دار العلم سنة ١٩٧٩م .

٢٩) الدلالة اللغوية عند العرب– د/ عبد الكريم مجاهد – دار المعارف سنة ١٩٨٥م .

٣٠) رؤية جديدة للإيجاز والإطناب د/ عبد الغنى محمد بركة – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٨٣م.

٣١) زيادة الحروف بين التأكيد والمنع وأسرارها البلاغية فى القرآن الكريم– د/هيفاء عثمان عباس – دار المعارف – القاهرة سنة ٢٠٠٠م .

٣٢) سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي– تحقيق عبد المتعال الصعيدي – أولاد صبيح القاهرة سنة ١٩٥٣م .

٣٣) شروح التلخيص – سعد الدين التفتازاني – الحلبي – القاهرة سنة ١٩٣٧م .

٣٤) شرح الكافية – الشريف الرضي – دار الكتب العلمية – بيروت سنة١٩٣٠م.

٣٥) الصاحبي في فقه اللغة – أحمد بن فارس – المؤيد – القاهرة سنة ١٩١٠م .

٣٦) الصناعتين – أبو هلال العسكري – تحقيق محمد علي البجاوي ، ومحمد أبوالفضل إبراهيم – الحلبي سنة ١٩٥٢م .

٣٧) الضرائر – ابن عصفور – السعادة – القاهرة سنة ١٣٢٧ م.

٣٨) الطراز – العلوي – دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٩٨٢م .

٣٩) عروس الأفراح – السبكي – السعادة – القاهرة سنة ١٣٤٣هجرية .

٤٠) علوم البلاغة – المراغي – المكتبة المحمودية التجارية – القاهرة سنه١٩٦٥م.

٤١) العمدة – ابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – السعادة – القاهرة سنة ١٩٦٨م.

٤٢) الفوائد المشوق – ابن قيم الجوزي – تصحيح السيد محمد بدر الدين – السعادة – القاهرة سنة ١٣٢٧م .

٤٣) القلب والإبدال – ابن السكيت – دار المعارف – القاهرة – سنه ١٣٤٣ هجرية .

٤٤) الكامل – المبرد – دار صادر بيروت– لبنان سنة ١٩٦٥ م .

٤٥) الكتاب – سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون– الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٧٧م.

٤٦) الكشاف – الزمخشري– دار الكتاب العربي – بيروت سنة ١٩٥٤م

٤٧) اللغة – أوتويسبرش– ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص – القاهرة – سنه ١٩٧٧م .

٤٨) اللغة – فندريس – ترجمة محمد عجينة – الدار العربية – تونس سنة١٩٨١م.

٤٩) اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٧٩م.

٥٠) المثل السائر – ابن الأثير – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – الحلبي – القاهرة سنة ١٩٦٨م.

٥١) محاضرات في علم المعاني د/ مختار عطية عامر للطباعة والنشر – المنصورة ٢٠٠٣م.

٥٢) المزهر – السيوطي – السعادة – القاهرة – سنة ١٣٢٧م .

٥٣) مستتبعات التراكيب بين البلاغة القديمة والنقد الحديث – د/ عبد الفتاح لاشين دار الطباعة المحمدية – القاهرة سنة ١٩٨٩ م

٥٤) معاني القرآن – الفراء – دار الكتب – القاهرة سنة ١٩٧٠م .

٥٥) مفتاح العلوم – السكاكي – تحقيق عدنان زرزور– دار الكتب العلمية– بيروت سنة ١٩٣٧م .

٥٦) المقتضب – المبرد – المجلس الأعلي للشئون الإسلامية– القاهرة سنة١٣٢٧م.

٥٧) من أسرار البلاغة – د/ إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصريه – القاهرة١٩٧٨م.

٥٨) المنطق الصوري – د/ سامي النشار – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٢م

٥٩) المنطق الصوري الرياضي – د/ عبد الرحمن بدوي – النهضة المصرية – القاهرة سنة ١٩٧٧م .

٦٠) المنطق واللغة – د/ محمود فهمي زيدان – بيروت – لبنان سنة ١٩٩٧م .

٦١) منهاج البلغاء – حازم القرطاجني – تحقيق محمد الحبيب بن خوجة – تونس سنة ١٩٦٦م.

٦٢) من وظائف الصوت اللغوي – د/ أحمد كشك – دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة ص ٢٠٠٥م.

٦٣) الموازنة – الأمدي – تحقيق السيد أحمد صقر – دار المعارف – القاهرة سنة١٩٦١م .

٦٤) الموشح – المرزباني – تحقيق د/ محمد علي البجاوي – نهضة مصر – القاهرة – سنة ١٩٦٥م.

٦٥) النبأ العظيم – داعبدالله دراز – مطبعة السعادة – القاهرة – سنة ١٩٨٥م.

٦٦) النحو والدلالة – د/ محمد حماسة عبد اللطيف – دار الشروق – ٢٠٠٠ م .

٦٧) نظرية اللغة في النقد العربي – د/عبد الحكيم راضي – الخانجي – القاهرة – سنه ١٩٨٠م.

٦٨) النكت في إعجاز القرآن – الرماني تحقيق الأستاذ / محمد خلف الله، د/محمد زغلول – دار المعارف – القاهرة سنه ١٩٧٠م.

٦٩) نهايه الإيجاز في دراية الإعجاز – فخر الدين الرازي – مكتبه الآداب – القاهرة سنة ١٣٥٧هجرية.

٧٠) الوساطة – القاضي الجرجاني – تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ وعلي محمد البجاوي دار إحياء الكتب العربية – القاهرة سنة ١٩٦٦م .

٧١) وفيات الأعيان – ابن خلكان – تحقيق د/ إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت سنة ١٩٦٩م .

ثانيا: - الدوريات والمعاجم : -

٧٢) مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات – المنصورة من مقال للدكتور/ هلال عطا الله بعنوان (الجذور الأولى لظاهرة الفصل والوصل قبل الإمام عبد القاهر الجرجانى) العدد الثامن عشر سنة ٢٠٠٩م .

٧٣) مجله علوم اللغة – من مقال للدكتور/ البدراوي زهران بعنوان (مبحث في قضية الرمزية الصوتية) – العدد الثلاثون – دار غريب سنة ١٩٩٧م .

٧٤) مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة – من مقال للدكتور/ محمد إبراهيم رشدي بعنوان (حول البلاغة الصوتية) العدد الحادي عشر سنة ١٩٩٢ م .

٧٥) مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة – من مقال للدكتور/ إبراهيم السيد محمد الرفاعي بعنوان (من بلاغه الاعتراض) – العدد الثاني عشر ١٩٦٣ م .

٧٦) معجم أساس البلاغة.

٧٧) معجم الصحاح .

٧٨) معجم اللسان .